مؤسسة القديس أنطونيوس
المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية



نصوص آبائية
- ٧٧ -

المقالة الثانية

ضد الآريوسيين

للقديس
أثناسيوس الرسولى

طبعة ثالثة منقحة

المركز الأرثوذكسى
للدراسات الآبائية
بالقاهرة
نصوص آبائية - ٧٧

المقالة الثانية ضد الآريوسيين

للقديس أثناسيوس الرسولى

ترجمة
أ. صموئيل كامل و د. نصحى عبد الشهيد
مراجعة
د. جوزيف موريس فلتس

أبريل ٢٠٠٤م

اسم الكتاب : المقالة الثانية ضد الاريوسيين

الشهادة لألوهية المسيح

اسم المؤلف : القديس أثناسيوس الرسولى

اسم المعرب : أ. صموئيل كامل ــ د. نصحى عبد الشهيد

اسم الناشر : مؤسسة القديس أنطونيوس ــ المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية بالقاهرة : ٨ (ب) ش إسماعيل الفلكى محطة المحكمة مصر الجديدة ت: ٢٤١٤٠٢٣

E-mail: santonio@link.net

الطبعة الأولى : ١٩٨٤

الطبعة الثانية : ١٩٩٨

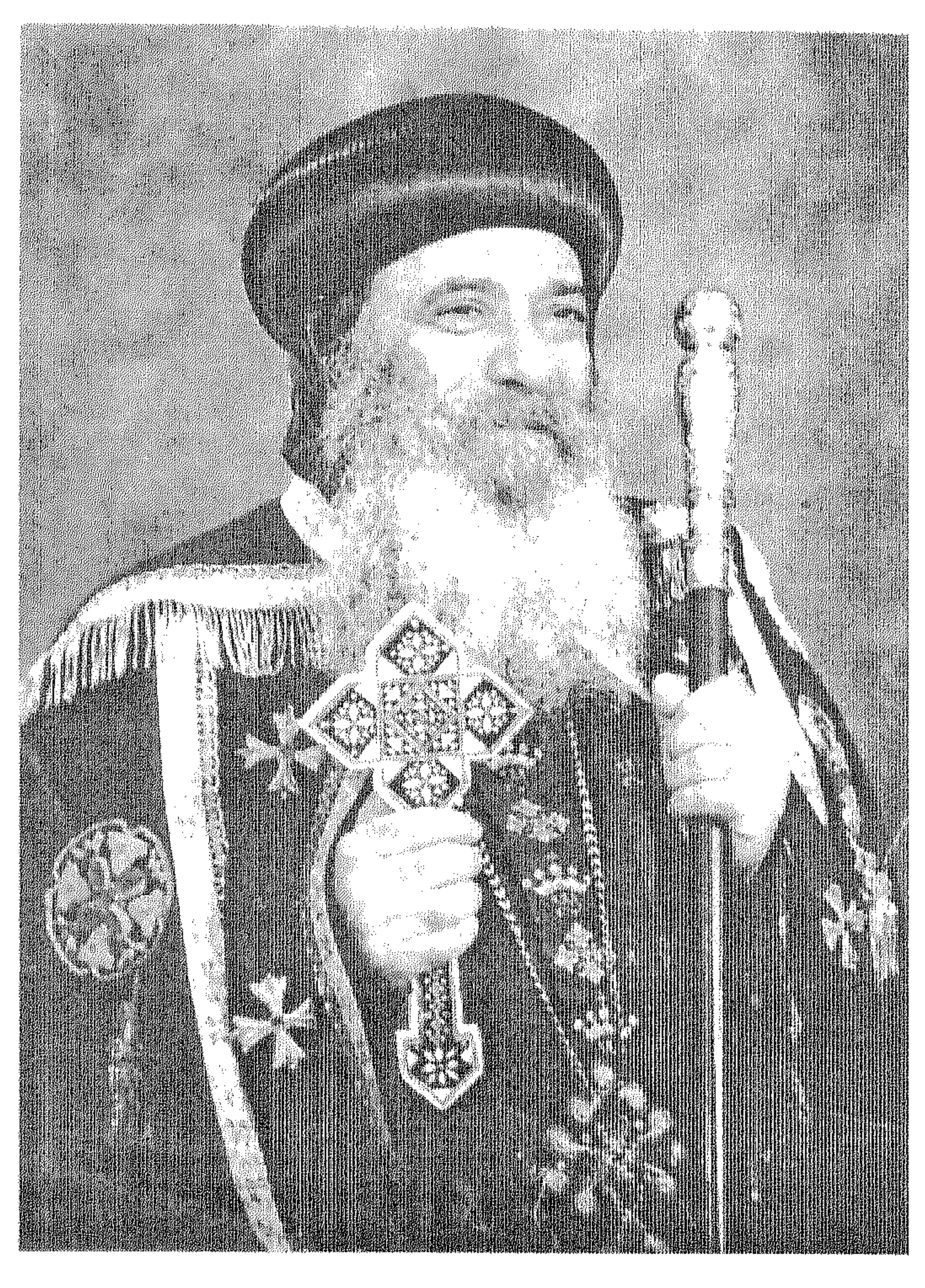
الطبعة الثالثة : مراجعة ومنقحة ٢٠٠٤

اسم المطبعة : دار يوسف كمال للطباعة

٢ش المدارس حدائق القبة ٤٨٢٧٠٧٤ – ٤٨٦٥٣٧٨

رقم الإيداع : ٧٦٥٨ لسنة ٢٠٠٤ م

الترقيم الدولى : I . S .B . N . 977 - 5057 -50-7



قداسة البابا شنوده الثالث
بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

المحتويات

مقدمة الطبعة الأولى

يواصل القديس أثناسيوس في هذه "المقالة الثانية ضد الآريوسيين" شرح النصوص التى كان الآريوسيون يستخدمونها للطعن في ألوهية المسيح، مدافعًا عن ألوهية المسيح وشاهدًا لها خلال الشرح والتحليل الدقيق لهذه النصوص من الكتاب المقدس. وننبه ذهن القارئ أن القديس أثناسيوس يستخدم الترجمة السبعينية في نصوص كتاب العهد القديم وهي الترجمة اليونانية لأسفار العهد القديم (تُرجمت في القرن الثالث قبل الميلاد) التى كان يستعملها كل الآباء في العصور الأولى كما أن كُتّاب العهد الجديد أنفسهم في اقتباساتهم من العهد القديم يستخدمون النسخة السبعينية ــ وهذه النسخة اليونانية للعهد القديم هي التى كانت مستعملة عند الجميع في العصور الأولى بما فيهم الآريوسيين وجميع المبتدعين. ونلاحظ بعض الاختلاف بين هذه النسخة السبعينية وبين النسخة المستعملة الآن للعهد القديم وهى المعربة عن اللغة العبرانية. نذكر ذلك لأن أحد النصوص التى يشرحها القديس أثناسيوس هنا هو أمثال٨:٢٢ " *الرب خلقنى أول طرقه لأجل أعماله*"، يشغل معظم مساحة هذه " المقالة الثانية ".

ويرجع الفضل الأساسي في تعريب هذه " المقالة الثانية " من اللغة اليونانية القديمة إلى الأستاذ صموئيل كامل عبد السيد، أستاذ اللغة الذى اشتركت معه في عمل الترجمة، وبعد أن انتهينا من ترجمة "المقالة الثانية" في سبتمبر ١٩٨٦م، توفي في ٧

نوفمبر ١٩٨٦م وكان يأمل رحمه الله أن يمتد به العمر إلى أن ينتهى من ترجمة المقالات الأربعة ضد الآريوسيين. ولمناسبة انتقاله قبل صدور المقالة الثانية من المطبعة نذكر نبذة تاريخية عن دور الأستاذ صموئيل وفضله بالنسبة لمشروع ترجمة كتابات الآباء عن اليونانية.

الأستاذ صموئيل ومركز دراسات الآباء:

لما عرف الأستاذ صموئيل أهمية كتابات الآباء الموجودة باللغة اليونانية ابدى استعداده الحار والجاد للعمل في ترجمة ما يستطيع منها إلى العربية. وبدأ الترجمة فعلاً، فترجم أولاً بعض رسائل القديس أثناسيوس عن تجسد المسيح، وصدرت بعنوان " المسيح في رسائل القديس أثناسيوس" في ديسمبر ١٩٨١، ثم بدأ العمل في ترجمة " المقالات الأربعة ضد الآريوسيين" التى صدرت " المقالة الأولى" منها في ديسمبر ١٩٨٤، عن مركز دراسات الآباء وبعدها هذه "المقالة الثانية".

ولكن الأستاذ صموئيل لم يكتف بأن يترجم بنفسه فقط بل كانت عنده قناعة تامة أنه لابد من إعداد جيل من الدراسين الشباب الذين يتخصصون في كتابات الآباء ويتمكنون من اللغة اليونانية لهذا الغرض. وبينما كنا نجلس معًا نفكر في هذا المشروع وكيفية تحقيقه، قال الأستاذ صموئيل "تعال بنا نذهب معًا لنقابل الملحق الثقافى بالسفارة اليونانية بالقاهرة فأنا أعرفه ويمكن أن يرشد إلى طريقة يمكن بها إيفاد مبعوثين لليونان لدراسة اللغة اليونانية وكتابات الآباء. كان هذا في بداية سنة ١٩٨٠. وفعلاً قمنا بزيارة الملحق

الثقافى. وعن طريق الإرشادات التى أعطاها لنا الملحق الثقافى اليونانى توصلنا إلى أولى خطوات تأسيس " مركز دراسات الآباء " لنشر ودراسة كتابات الاباء، ففى شهر سبتمبر ١٩٨٠ سافر أول مبعوث إلى بلاد اليونان للدراسة، (وتبعه عدة مبعوثين في السنوات التالية)، وتطوع الأستاذ صموئيل لإعطاء دروس تمهيدية في اللغة اليونانية لكل مبعوث قبل سفره.

إن مركز دراسات الآباء خسر ركنًا أساسيًا بوفاة الأستاذ صموئيل. ولكن لنا رجاء في المسيح، أن هذا العمل الذي بدأه الأستاذ صموئيل كامل يكمله تلاميذه المبعوثون للدراسة من مركز دراسات الآباء.

ولإلهنا القدير الآب والابن والروح القدس كل مجد وسجود وتسبيح الآن وإلى كل الدهور. آمين.

بيت التكريس لخدمة الكرازة
في ١١ سبتمبر ١٩٨٧م
أول توت ١٧٠٤ ش
عيد النيروز

دكتور
نصحي عبد الشهيد

طبعة ثانية منقحة
أبريل ١٩٩٨

مركز دراسات الآباء

مقدمة الطبعة الثالثة

صدرت الطبعة الأولى لهذه الترجمة للمقالة الثانية ضد الآريوسيين للقديس أثناسيوس الرسولى فى عام ١٩٨٧، كما صدرت الطبعة الثانية عام ١٩٩٨ ضمن كتاب واحد جمّع المقالات الثلاث.

والآن نصدر الطبعة الثالثة، بعد أن قام د. جوزيف موريس فلتس بمراجعتها على النص الأصلى وكتابة الهوامش والتعليقات فى أسفل الصفحات وبعمل فهرس للكلمات والآيات الكتابية فى نهاية الكتاب.

ولإلهنا القدير الآب والابن والروح القدس كل مجد وسجود وتسبيح الآن وكل أوان.

٨ مارس ٢٠٠٤م
٢٩ أمشير ١٧٢٠ش
شهادة القديس بوليكاربوس أسقف سميرنا

المركز الأرثوذكسى
للدراسات الآبائية

شرح نصوص : رابعًا:

" كونه أمينًا للذى أقامه "

عب٢:٣

١ ـ كنت أحسب أن أولئك المنافقين، مجانين الآريوسية، سيقنعون بالأدلة السابقة، والتى سبق أن سقتها ضدهم[١]. وأنهم سيكتفون بالبراهين المتعلقة بالحقيقة، وأنهم عندئذٍ سيكفّون عن الحديث ويندمون عن كل فكر ردئ أو كلام شرير تحدثوا به عن المخلّص. إلاّ أننى لا أدرى كيف أنهم لم يخجلوا، بل هم يتمرغون في الوحل كالخنازير ويلعقون قيأهم كالكلاب، بل وأكثر من هذا فقد اخترعوا لأنفسهم بدعًا للكفر وعدم التقوى.

إذن فلأنهم لم يفهموا حتى ما كُتب في الأمثال: " *الرب أقامنى أول طرقه لأجل أعماله*"[٢]، ولا حتى ما قيل بواسطة الرسول: "*كونه أمينًا للذى أقامه*"[٣]، لذلك فهم يتجادلون بلا داعٍ قائلين إن ابن الله هو "مصنوع"، و"مخلوق". وكان يكفيهم استيعاب الأمور وإدراكها مما

---

[١] كان أسلوب المجادلات والرد بالأدلة والبراهين هو الأسلوب المتبع بين الفلاسفة. أنظر كتاب "تجسد الكلمة" للقديس أثناسيوس الرسولى، ترجمة د. جوزيف موريس فلتس، المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية، الطبعة الثانية، أغسطس ٢٠٠٣، فصل٢٥، وفصل ٥٠، وأيضًا هذا الأسلوب استخدمه الهراطقة، انظر " ضد الآريوسيين" ترجمة أ. صموئيل كامل ود. نصحى عبد الشهيد، مركز دراسات الآباء، الطبعة الثالثة ٢٠٠٢، ١:٦، ١٠:٣ وهنا يرد القديس أثناسيوس بنفس الأسلوب لإقناعهم.

[٢] أم٨:٢٢.

[٣] عب٣:٢.



سبق أن قلناه، ذلك إن لم يكونوا قد فقدوا عقلهم تمامًا. لأن الحق يشهد أن الابن لم يوجد من عدم، وهو لا ينتمي مُطلقًا إلى الأشياء المخلوقة لأنه حيث إن الابن هو إله، فلا يمكن أن يكون مصنوعًا، وليس من الصواب أن يقول أحد عنه إنه مخلوق. فالمخلوقات والمصنوعات وحدها هي التي من المناسب أن يُقال عنها أنها من "العدم" وأنها لم تكن موجودة قبل أن تنشأ.

لكن يبدو أنهم يخشون أن يتخلوا عن أساطيرهم المبتدعة، ولذلك فهم يتعللون على الدوام بالأقوال التي سبق ذكرها من الكتب الإلهية. ورغم أنها صحيحة، إلاّ أنهم يقومون بتحريف معناها. لذلك سوف نشرح مرة أخرى معنى الأقوال التي أوردناها لكي نذكّر بها المؤمنين ونوضح لهم بواسطة كل قول من هذه الأقوال أن هؤلاء لا يعرفون المسيحية على الإطلاق. لأنهم لو كانوا يعرفونها لما أغلقوا على أنفسهم في عدم الإيمان[٤] كاليهود المعاصرين[٥]. بل كانوا سيسألون فيخبرونهم أنه "*في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله*"[٦]. وهكذا بمشيئة الآب صار **الكلمة** نفسه إنسانًا، وهذا ما قاله عنه يوحنا بحق "*أن الكلمة صار جسدًا*"[٧]. وما قاله بطرس: "*جعله ربًا ومسيحًا*"[٨]. والرب نفسه يتكلم على لسان سليمان ويقول: "*الرب*

---

[٤] انظر رو ١١: ٣٢.

[٥] يستعمل القديس أثناسيوس عبارة "اليهود المعاصرين" ليعبّر بها عن الآريوسيين، انظر المقالة الأولى، المرجع السابق، فقرة ٨ ص٣٨، وفقرة ١٠ ص ٢٤.

[٦] يو ١: ١.

[٧] يو ١: ١٤.

[٨] أع ٢: ٣٦.

أقامنى أول طرقه لأجل أعماله"[9]. وبولس يقول: "*بهذا المقدار صار أعظم من الملائكة*"[10]، وأيضًا: "*أخلى نفسه آخذًا صورة عبد*"[11]، ومرة أخرى: "*ومن ثم أيها الاخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية تأملوا رسول ورئيس كهنة اعترافنا، يسوع، حال كونه أمينًا للذي أقامه*"[12]، لأن كل هذه الأقوال لها قوتها الذاتية ولها مضمونها الذي يقود إلى التقوى ويظهر ألوهية **الكلمة**، وأن ما قيل عنه بحسب بشريته قد قيل بسبب أن **الكلمة** صار أيضًا ابن الإنسان.

ولكن رغم أن هذه الأمور كافية من تلقاء ذاتها لدحض أى اعتراض، إلاّ أنهم نظرًا لعدم فهمهم لقول الرسول، يعتقدون أن **كلمة** الله هو واحد من المخلوقات وذلك بسبب ما هو مكتوب "*كونه أمينًا للذى أقامه*". لهذا رأيت أنه من الضرورى أن أواصل هذا الكلام كي أخجلهم بمثل كلامى السابق مستمدًا مادة النقاش من أقوالهم نفسها.

٢ ــ فلو لم يكن هو الابن، لأمكن أن يُسمّى "مخلوقًا" وكل ما يُنسب إلى المخلوقات سيُنسب إليه، ولن يُلقب وحده "ابنًا" ولا **كلمة** ولا "حكمة" ولن يُلقب الله أيضًا "بالآب"، بل فقط "بالخالق" و"البارى" للأشياء "الصائرة" بواسطته. وستكون الخليقة هي صورة وملامح إرادته الخلاّقة. ووفقًا لتعاليمهم فهو ذاته (الآب) لن تكون طبيعته مثمرة. وبذلك لن يكون لجوهره الذاتى أى "**كلمة**" ولا "حكمة" ولا

[9] أم٨: ٢٢.

[10] عب١: ٤.

[11] في٢: ٧.

[12] عب٣: ٢و٢.

"صورة" إطلاقًا. فلو لم يكن هو "ابنًا" فلن يكون "صورة". ولكن لو لم يكن هناك وجود للابن فكيف يمكن أن تقولوا إذن أن الله خالق؟ فالمخلوقات إنما قد خُلقت قطعًا بواسطة **الكلمة** و"الحكمة". وبغير **الكلمة** لَما كان ممكنًا أن يوجد أى شئ. والآب كما يقولون عنده **الكلمة** الذي فيه وبواسطته يخلق كل شئ وإلاّ لكان الجوهر ليس خصبًا بل عقيمًا ومجدبًا حسب رأيهم ــ كالنور الذي لا يضيء وكالنبع الجاف، فكيف لا يخجلون عندما يقولون إن الله لديه طاقة خلاّقة؟ وكيف لا يحمّرون خجلاً وهم ينكرون الذي هو بحسب الطبيعة ويريدون أن يجعلوا الذي بحسب المشيئة متقدمًا عليه؟.

فإن كانت الأشياء التى معه خارج جوهر الله والتى لم تكن موجودة من قبل ــ قد خلقها عندما شاء أن يجلبها إلى الوجود، وأصبح هو خالقها وصانعها، لكان هو ــ قبل ذلك بكثير ــ أبًا لمولود من جوهره الذاتى. لأنهم إن كانوا ينسبون لله أنه بالمشيئة يُوجِد الأشياء غير الموجودة، فلِما لا يقرون بأن في الله شئ أعلى من المشيئة، ألا وهو الطبيعة الخصبة، وأن يكون أبًا **لكلمته** الذاتى؟ وعلى ذلك فإن كان الأول الذي هو بحسب الطبيعة لم يكن موجودًا بحسب جنون أولئك، فكيف يمكن أن يوجد الثانى، الذي هو بحسب المشيئة؟ لأن **الكلمة** هو الأول، والخليقة هي الثانية. **فالكلمة** كائن موجود مهما تجاسر الكافرون وتمادوا في أفكارهم، وذلك لأن الخليقة قد صارت إلى الوجود بواسطته. فمن الواضح أنه إن كان الله هو الصانع، فعنده أيضًا **كلمته** الخلاّق الذي هو ليس من خارجه بل من ذاته هو نفسه، وهذا ما ينبغى أن نكرره كثيرًا، فإن كان الله لديه

المشيئة، وكانت المشيئة مبدعة وكافية لإيجاد الأشياء المخلوقة، فإن **كلمته** أيضًا يكون مبدعًا وخالقًا. ومما لا شك فيه أن **الكلمة** ذاته هو مشيئة الآب الحيّة، وقوته الجوهرية، وهو **الكلمة** الحقيقي الذي به تتكون جميع الأشياء وهو يضبطها جيدًا. ولن يتردد أحد في القول بأن ذلك الذي ينظم، هو سابق على التنظيم نفسه، وعلى الأشياء المنظَمَة. وكما سبق أن قلنا، يكون عمل الله كخالق هو تالٍ لكونه أب. لأن الابن هو خاصته وهو حقًا من ذلك الجوهر الأزلي المُطوّب. أما الأشياء المنظَمَة فقد صارت إلى الوجود من مشيئته الذاتية، من خارجه، وقد خُلقت بواسطة ابنه الذى من ذات جوهره.

٣ ــ إذن فبما أن الحديث يوضح السخف الشديد للقائلين بأن الرب ليس هو ابن الله بل هو مخلوق، لذلك فمن الضرورى أن نعترف نحن بأن الرب هو الابن. وإن كان هو ابن ــ كما هو هكذا بالحقيقة ــ فالابن يجب أن يُعترف به أنه ليس من خارج أبيه بل هو الذي ولَده. لذا يلزم ــ كما سبق أن قلنا ــ أن يكفوا عن تحوير الأقوال التى يستعملها القديسون بخصوص **الكلمة** نفسه. لأنهم يستخدمون عبارة "الذي أقامه" بدلاً من "الذى ولَده"، لأنه لا علاقة لهذه الأمور بالألفاظ طالما أن الابن قد أُعترف به أنه من طبيعة أبيه. فليست الألفاظ هي التى تقلل من قدر طبيعة الأشياء، بل بالأحرى فإن طبيعة الأشياء هي التى تضفى المعنى على الألفاظ وغيرها. لأن الألفاظ ليست سابقة على جواهر الأشياء بل أن الجواهر هي الأولى والألفاظ تأتى تالية لها. ولذلك فعندما يكون الجوهر "مصنوعًا" أو "مخلوقًا" عندئذٍ فإن الألفاظ: "صنع" و"صار" و"خلق" تُقال عنه بصفة خاصة ويقصد به أنه

"مصنوع". ولكن حينما يكون الجوهر مولودًا وابنً، عندئذٍ فإن ألفاظ "صنع" و"صار" و"الخلق" لا تُستخدم بحسب مفهومها الحرفى، ولا تعنى أنه "مصنوع"، بل تكون كلمة "صنع" قد استُخدمت بدلاً من "وُلِدَ" بدون تحديد. وفي أحيان كثيرة يلقب الآباء أبناءهم الذين ينجبونهم عبيدًا لهم، دون أن ينكروا أصالة طبيعتهم. وأحيانًا يجاملون عبيدهم ويسمونهم أبناء دون أن يفقدوا حق امتلاكهم منذ البداية. إلاّ أنهم في الحالة الأولى يسمّون أبناءهم عبيدًا من خلال سلطانهم كآباء، وفي الحالة الثانية يسمّون عبيدهم أبناء بدوافع إنسانية، فسارة كانت تدعو إبراهيم سيدًا[١٣] رغم أنها لم تكن عبدة له، بل كانت زوجة. وكان الرسول يصف أونسيموس العبد كأخ لفليمون الذي كان "سيدًا"[١٤]، أما بتشبع فرغم كونها أمًا دعت ابنها عبدًا قائلة "عبدك سليمان"[١٥]. وكذلك ناثان النبي أيضًا بعد أن وصل قال لداود نفس كلامها بأن "سليمان عبدك"[١٦]. إنهم لم يبالوا أن يقولوا عن الابن إنه "عبد"، لأن داود الذي سمع هذا القول كان يعرف طبيعة سليمان. وهم أيضًا بقولهم هذا لم يكونوا يجهلون أصالة سليمان. وكانوا يطالبون أن يكون وارثًا لأبيه، رغم أنهم كانوا يلقبونه عبدًا، إذ كان هو ابنًا لداود بالطبيعة.

٤ ـ لذلك حينما نقرأ هذه الأقوال ونتمعن فيها جيدًا، وعندما نسمع أن سليمان عبد، فلا يجب أن نظن أنه كان عبدًا، بل هو ابن طبيعى

---

١٣ ابط٣:٦.

١٤ فليمون١٦.

١٥ امل١:١٦و١٩.

١٦ امل١:٢٦.

وأصيل. وهكذا أيضًا في حالة المخلّص المُعتَرف به حقًا أنه ابن، لكونه هو **الكلمة** بالطبيعة فعندما يقول القديسون عنه: "*كونه أمينًا للذى اقامه*"[17] أو عندما يقول هو نفسه عن ذاته: "*الرب قنانى*"[18] وأيضًا: "*أنا عبدك وابن أمتك*"[19]. ومثل هذه الأقوال كثير، فإن هذا لا يجب أن يجعل البعض ينكر أصالته من الآب، بل كما حدث في حالة داود وسليمان، هكذا فلنتأمل باستقامة فيما يخص الآب والابن. فإن كانوا عندما يسمعون أن سليمان عبد يعترفون به ابنًا، أليس من العدل أن يلحقهم الدمار مرات كثيرة لأنهم لا يحفظون للرب نفس اللقب؟! ولكنهم حينما يسمعون الكلمات "ابن"، و**كلمة**، و"حكمة" يسارعون إلى تحريف وإنكار البنوة الأصلية التى بالطبيعة أعنى ولادة الابن من الآب. وعندما يسمعون كلمات أو أقوالاً تخص ما هو مخلوق ففى الحال يتعجلون الظن أن "الابن" مخلوق بالطبيعة، وينكرون **الكلمة** رغم أنه في استطاعتهم أن ينسبوا مثل تلك الأقوال كلها إلى بشريته ـــ حيث إن **الكلمة** صار إنسانًا ـــ فكيف لا يكون هؤلاء مكروهين لدى الرب. طالما أنهم هم أنفسهم يقيسون الأمور بمعيارين[20]: بأحدهما يفسرون الأقوال الأولى وبالآخر يجدّفون على الرب؟ بالواحد يفهمون كلمة عبد حسب هواهم، وبالآخر يركزون على كلمة

---

[17] عب٣:٢.

[18] انظر أم٨:٢٢.

[19] مز١١٦:١٦.

[20] انظر أم٢٠:٢٣.

"الصانع"[21] كسند قوى لهرطقتهم. وهذا السند يكون كقصبة محطمة بالنسبة لهم. وذلك لأنهم سيدينون أنفسهم لو عرفوا أسلوب الكتاب. فقد دُعى سليمان "عبدًا" رغم كونه "ابنًا". كذلك أيضًا ـ ونكرر القول ـ قد يقول الآباء عن أبنائهم الذين أنجبوهم إنهم مخلوقون ومصنوعون وصائرون. فقد قال حزقيا وهو يصلي: " *لأنه من هذا اليوم سأصنع أبناء يعلنون: يا إله خلاصى*"[22]. فهو يقول "سأصنع" في حين أن النبي في نفس السفر وفي سفر الملوك الرابع[23] يقول هكذا: " *وأبناؤك الذين يخرجون منك*"[24]، فهو يستعمل كلمة "سأصنع" بدلاً من كلمة "سألد"، ويقول عن المولودين منه إنهم "مصنوعون"، ولكن لا يشك أحد أن هذا اللفظ إنما يخص الميلاد بالطبيعة.

وعندما وَلَدت حواء قايين قالت: " *اقتنيت رجلاً من عند الرب*"[25]. إذن فقد قالت "اقتنيت" بدلاً من "وَلَدتُ"، لأنها بعد أن رأت الطفل قالت إنها "اقتنت". ولا يظن أحد أنها بسبب قولها "اقتنيت" أنها اشترت قايين من الخارج، أو أنها لم تلده من بطنها. ويعقوب البطريرك قال ليوسف " *والآن إذن إبناك الولدان اللذان وُلدا لك في مصر قبل مجيئي إليك في مصر هما لي: افرايم ومنسى*"[26]. ويقول الكتاب عن

---

[21] يقول الآريوسيون عن المسيح إنه "مصنوع".

[22] إش٣٨: ١٩و٢٠ (سبعينية).

[23] وهو سفر الملوك الثاني في ترجمة دار الكتاب المقدس.

[24] ٢مل٢٠: ١٨.

[25] تك٤: ١.

[26] تك٤٨: ٥.

أيوب: " *وصار له سبعة أبناء وثلاث بنات*"[٢٧]، مثلما قال موسى أيضًا في الشريعة: " *إن صار لأحد أبناء*"، إن " *صنع ولدًا*"[٢٨].

٥ ـــ هوذا مرة أخرى يُقال عن المولودين أنهم "صائرون" و"مصنوعون"، إذ طالما أننا نعترف أنهم أبناء فالأمر لا يختلف إن قال أحد إنهم قد صاروا سواء قيل "اقتنيت" أم "صنعت" لأن الطبيعة والحق يجعلان المعنى قريبًا منهما. ولهذا فبالنسبة لهؤلاء الذين الذين يتساءلون إن كان الرب مخلوقًا أو "مصنوعًا" فينبغي عليهم أولاً أن يبحثوا إن كان هو "ابنًا"، و"**كلمة**"، و"حكمة". لأنه عندما تثبت هذه الأمور، فإن الظن بخصوص "المصنوع" و"المخلوق" سيتوقف ويُطرح خارجًا في الحال. لأن "المصنوع" لا يمكن أن يكون "ابنًا" و"**كلمة**"، ولا الابن يمكن أن يكون "مصنوعًا"، فإن كانت الأمور تجرى هكذا فيكون البرهان واضحًا للجميع أن العبارة التى تقول "للذى أقامه"، و"الذى صنعه" لا تخدم هرطقتهم بل بالحرى تدينهم. لأنه قد اتضح أن تعبير "صنع" قد استُخدم في الكتب الإلهية عن الأطفال الأصليين بالطبيعة وهو **كلمته** وحكمته، فإنه حتى إذا قيل بخصوصه "صنع" أو "صار" فلا يُقال عنه كما لو كان كائنًا مصنوعًا. إن القديسين استخدموا التعبير بلا تمييز ـــ مثلما حدث بالنسبة لسليمان وابنا حزقيا ـــ لأنه مع أن هؤلاء الأبناء وُلِدوا من آبائهم أنفسهم، فقد كُتب عنهم: قد "صنعت"، و"خلقت" و"صار". إذن فإن أعداء الله الذين يتعللون

---

[٢٧] أيوب ١:٢.

[٢٨] انظر خر ٢١:٤ (س).

كثيرًا بمثل هذه العبارات هم ملزمون الآن بعد هذا الذي قيل أن يتخلوا عما يتشدقون به من أفكار بتجديفهم، وبهذا يعتقدون ــ بخصوص الرب ــ إنه ابن حقيقي و**كلمة** الآب وحكمته، وإنه ليس مصنوعًا أو مخلوقًا لأنه إن كان الابن مصنوعًا، فأية علة، وأية حكمة إذن هي التى أوجدته؟ لأن كل المخلوقات قد صارت بواسطة **الكلمة** والحكمة، كما قد كُتب "*كلها بحكمة صُنعت*"[٢٩] وأيضًا "*كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان*"[٣٠]. فإن كان هو **الكلمة** والحكمة الذي به قد صار كل شئ، فينتج من ذلك أنه لا ينتمى إلى الأشياء المصنوعة ولا إلى الأشياء المخلوقة إطلاقًا، ولكنه هو مولود الآب.

٦ ــ تأملوا إذن إلى أى انحطاط وصل قولهم عن **كلمة** الله إنه مصنوع. فسليمان يقول في موضع ما في سفر الجامعة: "*لأن الله سيُحضر كل عمل إلى الدينونة بكل خفاياه، إن كان خيرًا أو شرًا*"[٣١]. وهكذا فإن كان **الكلمة** مصنوعًا أو مخلوقًا، فإنه وفقًا لكلامهم، سيُقدم هو أيضًا كغيره للدينونة. فأين تكون الدينونة إذن، إن كان الدّيان نفسه يُدان؟ ومن هو الذي سيُعطى البركات للأبرار والعقوبات لغير المستحقين، عندما يقف الرب نفسه ــ حسبما تقولون ــ ليُدان مع الجميع. فبأية شريعة سيُدان واضع الشريعة نفسه؟ فإن من خصائص المخلوقات أنها تُدان أى تُثاب أو تُعاقب بواسطة الابن.

---

[٢٩] مز ١٠٤: ٢٤.

[٣٠] يو ١: ٣.

[٣١] جا ١٢: ١٤.

إذن، خافوا الديّان، وافهموا ما سبق أن قاله سليمان. لأنه إن كان الله سيُحضر كل عمل إلى الدينونة، إلاّ أن الابن ليس من بين المُدانين، بل هو بالأحرى الديّان لكل المخلوقات. أفلا يكون واضحًا أكثر من الشمس أن الابن ليس مخلوقًا بل هو **كلمة** الآب، والذي به تصير المخلوقات وبه تُدان؟ وإن كانت عبارة: "*كونه أمينًا*"[٣٢] تثيرهم من جديد ظانين أن لفظ "الابن" يُقال عنه كما يُقال عن جميع الناس، وأنه، لأجل أمانته، فهو ينتظر أجر أمانته. إذن حان الوقت ليتهموا موسى من جديد، لأنه قال "*الله أمين وحق*"[٣٣]. ويتهموا بولس الذي كتب "*ولكن الله أمين، الذى لا يدعكم تُجربون فوق ما تستطيعون*"[٣٤]. فالقديسون عندما يقولون هذا فإنهم لا ينسبون لله خصائص بشرية، بل يعترفون أن كلمة "أمين" في الكتاب المقدس لها معنيان: المعنى الأول أنه "مؤمن"، والآخر أنه "أمين". فالمعنى الأول يناسب البشر، والثاني يناسب الله. إذن فإبراهيم "مؤمن" لأنه قد آمن بالله، أما الله فهو أمين مثلما يرنم داود: "*أمين هو الرب في كل أقواله*"[٣٥]. وهو أمين لأنه من المستحيل أن يكون الرب كاذبًا. وعندما يقول بولس: "*إن كان لمؤمن أو مؤمنة أرامل*"[٣٦] فالمرأة هنا تُدعى مؤمنة بسبب استقامتها. وأيضًا "*أمينة هي الكلمة*"[٣٧] لأن ما قاله يستوجب الإيمان، لأنه حق،

---

[٣٢] عب٣: ٢.

[٣٣] انظر تث٣٢: ٤.

[٣٤] ١كو١٠: ١٣.

[٣٥] مز١٤٤: ٣ (سبعينية).

[٣٦] ١تي٥: ١٦.

[٣٧] تي٣: ٨.

ولا يمكن أن يكون غير ذلك.

إذن فعبارة " *كونه أمينًا للذي أقامه*"، لا تدل على أنه يشابه الآخرين ولا تعنى أنه لكونه أمينًا قد صار مقبولاً، بل إذ هو ابن الله الحق فهو أيضًا أمين، ويجب أن يوثق به فيما يقول وفيما يعمل. وهو نفسه ظل ثابتًا دون أن يتغير في تدبير تجسده وحضوره بالجسد.

٧ ــ هكذا إذن فإن من يواجه وقاحتهم يستطيع حتى من لفظ "صنع" (= أقام)[٣٨] أن يدحض هؤلاء المضللين الذين يحسبون أن **كلمة** الله مصنوع أو مخلوق. وحيث إن القصد من هذا اللفظ هو قصد مستقيم ــ إذ أنه يوضح الوقت والمناسبة التى قيل فيها ــ فإنه بالضرورة يتضح من هذا اللفظ عدم تبصر الهراطقة لا سيما إذا أخذنا في الاعتبار وقت كتابته والحاجة إليه، كما سبق أن قلنا، فإن الرسول لم يقل هذه الأقوال لكي يسرد بالتفصيل ماذا كان قبل الخليقة، ولكنه يتحدث عن الوقت الذي فيه: " *صار الكلمة جسدًا*"، لأنه كتب هكذا: " *لذا أيها الاخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية، تأملوا يسوع رسول ورئيس كهنة اعترافنا كونه أمينًا للذى أقامه (صنعه)*"[٣٩]. فمتى صار رسولاً إذن؟ ومتى صار رئيس كهنة اعترافنا؟ وبعدما بذل نفسه لأجلنا، متى أقام الجسد من بين الأموات؟ ومتى جاء بهؤلاء الذين يتقدمون إليه بالإيمان ويقدمهم إلى الآب بعد أن يحررهم مكفرًا عنهم

---

[٣٨] انظر عب٣:٢.

[٣٩] عب٣:١، ٢.

جميعًا أمام الله؟[٤٠]. فالرسول حينما قال "*كونه أمينًا للذى أقامه*" لم يكن يشير إلى جوهر **الكلمة** ولا إلى ميلاده الطبيعى من الآب، حاشا، لأن **الكلمة** هو الذي يصنع وليس المصنوع. ولكنه قال هذا لأنه أراد أن يُظهر نزوله إلى البشر، ووظيفة رئاسة الكهنوت التى "صارت". وهو ما يمكن لأى شخص أن يراه بوضوح من التاريخ الذي كُتب عن الشريعة وعن هارون. فإن هارون لم يُولد رئيس كهنة بل وُلد إنسانًا ثم بعد فترة، عندما أراد الله صار رئيس كهنة. وهو لم يصر هكذا ببساطة، ولم يُعرف من ملابسه العادية ولكن عندما ارتدى القميص، والصدرة، وجبة الرداء وهي الثياب التى صنعتها النساء بحسب أمر الله. وبهذه الثياب كان يدخل إلى الأقداس ويقدم الذبيحة عن الشعب وبها أيضًا كان كوسيط لمعاينة الله ولتقديم ذبائح عن الناس[٤١]. وهكذا الرب أيضًا، فإنه "*في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله*"[٤٢]. وعندما أراد الآب أن تُقدم الفدية لأجل الجميع، وأن تُعطى النعمة للكل، عندئذٍ فمثلما ارتدى هارون الجبة ـ أخذ **الكلمة** جسدًا من الأرض[٤٣]، متخذًا له من مريم أمًا بالجسد كما من أرض بكر حتى إذ يكون له ـ كرئيس كهنة ـ شئ يقدمه، فهو يقدم ذاته للآب ويطهرنا جميعًا من الخطايا بدم نفسه ويقيمنا من بين الأموات.

---

[٤٠] انظر عب٢:١٧.

[٤١] انظر خر٢٨و٢٩.

[٤٢] يو١:١.

[٤٣] كثيرًا ما يكرر القديس أثناسيوس هذه العبارة في كتاباته. انظر على سبيل المثال كتاب "تجسد الكلمة"، المرجع السابق، فصل ٨:٢.

٨ ــ وهذا الأمر كانت له ظلال في القديم، فإن ما حققه المخلّص في مجيئه، هو الأمر الذى كان هارون رمزًا له بحسب الناموس. فلقد كان هارون هو هو نفسه، ولم يتغير بارتدائه ثياب الكهنة، بل ظل كما هو، إنما قد ارتدى الثياب فقط. فإن قال شخص ما عندما يراه وهو يقدم القرابين " ها هوذا هارون قد صار اليوم رئيس كهنة" فلا يعنى بذلك أنه قد صار عندئذٍ إنسانًا، إذ أنه كان إنسانًا حتى قبل أن يصير رئيس كهنة، لكنه صار رئيس كهنة بسبب وظيفته متسربلاً بالثياب المصنوعة والمُجهزة لوظيفة رئاسة الكهنوت. وبنفس الطريقة من الممكن أن يفكر أحد جيدًا بخصوص الرب أنه لم يصر شخصًا آخر بعد أن اتخذ الجسد، بل ظل هو نفسه كما كان قبل ان يتسربل بالجسد. وإن عبارة "قد صار" و"قد صُنع"، لا ينبغى أن تُفهم كما لو أن **الكلمة** باعتباره **الكلمة** قد صُنع بل لكونه **الكلمة** فهو خالق، وفيما بعد صار رئيس كهنة مرتديًا جسدًا مصنوعًا ومخلوقًا. وهو الذى يستطيع أيضًا أن يقدم تقدمة لأجلنا، لذلك يُطلق عليه أيضًا " إنه قد صُنِعَ". فإن لم يكن السيد قد صار إنسانًا، إذن فليحارب الآريوسيون، أما إن كان " *الكلمة صار جسدًا*"[٤٤] فماذا يكون من الواجب أن يُقال عنه وقد صار إنسانًا، إلاّ " *كونه أمينًا للذى أقامه*"[٤٥]؟. لأنه كما هو لائق بالنسبة **للكلمة** أن يُقال عنه " *في البدء كان الكلمة*"[٤٦]، فإنه ما يليق بالإنسان هو أن يُولد ويُخلق. فمن إذن يرى الرب وهو يمشى

---

[٤٤] يو١:١٤.

[٤٥] عب٣:٢.

[٤٦] يو١:١.

كإنسان ــ وقد ظهر من أعماله أنه إله[٤٧] ــ ولا يتساءل قائلاً: "من الذى صنع هذا إنسانًا؟" ومَنْ أيضًا لا يجيب على هذا السؤال بأن: "الآب هو الذي صنعه إنسانًا وأرسله إلينا كرئيس كهنة"؟ وما كتبه الرسول نفسه قائلاً: " *كونه أمينًا للذى أقامه (صنعه)*" يوضح هذا المعنى ويحدد هذا الوقت، ويشير إلى هذا الشخص. وهذا يتضح أكثر عندما نقرأ ما كتبه الرسول قبل هذه الكلمات. إذ أن تسلسل الفكر الواحد وما جاء في هذا الفصل من الرسالة يشير إلى نفس الموضوع. فهو يكتب في رسالته إلى العبرانيين ما يلى: " *فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو نفسه أيضًا كذلك فيهما لكي يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس، ويعتق أولئك الذين خوفًا من الموت كانوا جميعًا كل أيام حياتهم تحت العبودية. لأنه حقًا ليس يمسك الملائكة، بل يمسك نسل إبراهيم. ومن ثم كان ينبغى أن يشبه اخوته في كل شئ، لكي يكون رحيمًا ورئيس كهنة أمينًا فيما لله. حتى يكفر عن خطايا الشعب. لأنه فيما هو قد تألم مجربًا يقدر أن يعين المجربين*"[٤٨]. وأيضًا " *من ثَمّ أيها الاخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية، تأملوا يسوع رسول ورئيس كهنة اعترافنا كونه أمينًا للذى أقامه*"[٤٩].

٩ ــ فمن الذي يقرأ كل هذه الفقرة ولا يدين الآريوسيين، ولا يُبدى إعجابه بالرسول المُطوّب لأنه قد تكلم بالصواب. لأنه متى

---

[٤٧] يشرح القديس أثناسيوس هذه الحقيقة فى الفصول ١٨ ــ ١٩ من كتابه "تجسد الكلمة" المرجع السابق ص٥١ ــ ٥٥.

[٤٨] عب٢: ١٤ــ١٨.

[٤٩] عب٣: ١و٢.

"صُنِعَ"، ومتى "صار" المسيح رسولاً إلاّ عندما اشترك هو نفسه "*في اللحم والدم*" بطريقة مماثلة لنا؟ ومتى صار " رئيس كهنةَ أو رحيمًا وأمينًا"، إلاّ عندما صار "مشابهًا لاخوته في كل شئ"؟ ولقد حدثت المشابهة عندما صار إنسانًا لابسًا جسدنا نحن. ولذلك فعندما يقول بولس " *كونه أمينًا للذى أقامه*" فإنه يتحدث عن تدبير تجسد **الكلمة** وليس بخصوص جوهر **الكلمة**. إذن فلا يجب أن تنخدعوا وتقولوا إن **كلمة** الله مصنوع، لأنه بحسب الطبيعة هو ابن وحيد الجنس، ثم صار له "اخوة" عندما ارتدى جسدًا شبيهًا بنا، والذي به بذل ذاته بذاته وحده وسُمِّى "رئيس كهنة"، ودعُى رحيمًا وأمينًا. فمن ناحية هو "رحيم" لأنه بذل نفسه عنا[٥٠]، ومن ناحية أخرى هو "أمين" ليس لأنه مشارك لنا في الإيمان، وليس لأنه يؤمن بشخص ما مثلنا، بل لأنه هو الذي يجب أن نؤمن به في كل ما يقوله وما يفعله. ولأنه قَدَّم ذبيحة أمينة أبدية وليست زائلة. لأن الذبائح المقدمة بحسب الشريعة ليست أمينة، إذ أنها تُقدم كل يوم. وهي أيضًا تحتاج إلى تطهير، أما ذبيحة المخلّص فقد كانت مرة واحدة وأكملتْ (خلاص) الكلّ وظلّت أمينة لأنها باقية على الدوام.

ولقد كان لهرون خلفاء، وعمومًا فإن رجال الكهنوت بحسب الشريعة يحلّون محلّ سابقيهم بمرور الوقت أو بسبب الموت. أما

---

[٥٠] يذكر القديس أثناسيوس أن السيد المسيح قد قدم نفسه عنا ذبيحة خالية من كل عيب ببذله لجسده كتقدمة مناسبة لهذا رفع حكم الموت فورًا عن نظرائه البشر، انظر كتاب "تجسد الكلمة"، المرجع السابق، فصل ٩:١.

الرب فله "*كهنوت ثابت لا يزول*"[51]. لقد صار رئيس كهنة أمينًا باقيًا إلى الأبد، وقد صار أمينًا حسب الوعد لكي يستجيب لأولئك الذين يقتربون إليه ولا يخدعهم. هذا ما يمكن أن نتعلمه من رسالة بطرس العظيم الذي يقول: "*إذن فالذين يتألمون بحسب مشيئة الله فليستودعوا أنفسهم كما لخالق أمين*"[52]، لأنه هو أمين وغير متغير، بل هو ثابت إلى الأبد. وهو يهب تلك الأشياء التي وعد بها.

١٠ ــ ومن ناحية أخرى فإن تلك التي تُدعى آلهة عند اليونانيين دون أن تستحق هذا اللقب، هي ليست أمينة لا بحسب كيانها ولا بحسب وعودها إذ أنها ليست هي بعينها في كل مكان، بل هي آلهة محلية قد أفسدها الزمن واضمحلت من تلقاء ذاتها[53]، لذا يصرخ **الكلمة** ضدهم: إن الإيمان ليس قويًا فيهم بل هم " مياه خادعة " وأنه " لا إيمان فيهم"، أما إله الجميع إذ هو واحد في الواقع وبالحقيقة فهو إله حق وآمين وثابت إلى الأبد. وهو يقول : "*انظروا إليّ فترون إني أنا هو هو*"[54]، و"*إني ما تغيرت*"[55]. ولهذا السبب فإن ابنه أمين وهو على الدوام غير متغير وغير مخادع لا في كيانه ولا في وعده. وكما كتب الرسول إلى أهل تسالونيكي قائلاً: "*أمين هو الذي يدعوكم الذي*

---

[51] انظر عب٧:٤٧.

[52] ١بط٤:١٩.

[53] انظر كتاب "تجسد الكلمة"، المرجع السابق فصل ٤٥ حيث يوضح القديس أثناسيوس أن تجسد الكلمة أبطل أعمال الآلهة الكذبة أضلت الإنسان.

[54] تث٣٢:٣٩.

[55] ملا٣:٦.

سيفعل أيضًا"[56]. لأنه إذ يعمل ما وعد به فهو أمين في أقواله. ولهذا يكتب عن معنى اللفظ الذي يفيد عدم التغير " *إن كنا غير أمناء فهو يبقى أمينًا لا يقدر أن ينكر نفسه*"[57]. والرسول إذ يتحدث عن الحضور الجسدى **للكلمة** يقول: " *كونه رسولاً وأمينًا للذى أقامه*"[58]، مبينًا أنه حتى بعد أن صار إنسانًا فإن يسوع المسيح " *هو هو أمسًا واليوم وإلى الأبد*"[59]، أى لا يتغير. ومثلما أشار الرسول بواسطة رئاسة كهنوته إلى تأنس الرب عندما كتب في رسالته، فإنه لم يسكت طويلاً عن الحديث عن ألوهيته بل اشار إليها مباشرة، لكى يكون هناك أمان من كل ناحية وخاصة حينما يتحدث عن التواضع لكى نعرف على الفور رفعته وجلاله الذى من الآب. ولذلك قال: وموسى كان خادمًا أما المسيح فهو ابن. كان الأول "أمينًا في بيته" أما الثاني فكان "على بيته"[60] لأنه هو الذى أقامه وشيّده إذ هو ربه وخالقه، وكإله قد قدسه.

ولما كان موسى إنسانًا بالطبيعة. فإنه قد صار أمينًا بسبب إيمانه بالله الذى تحدث إليه عن طريق **الكلمة**، أما **الكلمة** فلم يكن في الجسد كأحد المخلوقات، ولم يكن كمخلوق في مخلوق، بل هو كإله في الجسد، كخالق ومشيّد وسط ما خُلق بواسطته. وإن كان البشر قد

---

[56] ١تس٥:٢٤.

[57] ٢تى٢:١٣.

[58] انظر عب٣:١و٢.

[59] عب١٣:٨.

[60] انظر عب٣:٥و٦.

لبسوا جسدًا فلكى يكون لهم وجود وكيان. أما **كلمة** الله فقد صار إنسانًا لأجل تقديس الجسد، وبينما هو رب فقد وُجِدَ في هيئة عبد، لأن كل الخليقة التى وُجِدت **بالكلمة** وخُلقت به هي عبدة له. وبهذا يتضح أن ما قاله الرسول: " *للذي أقامه* (صنعه)" لا يثبت أن **الكلمة** مصنوع، وإنما المصنوع هو الجسد المماثل لنا، الذي اتخذه، وبالتالى إذ قد صار إنسانًا فقد دُعى أخًا لنا.

١١ ــ فإن كان قد اتضح أنه حتى عندما يستعمل لفظ "صُنِعَ" منسوبًا إلى **الكلمة** نفسه، فإنه يستعمله بمعنى "وُلِدَ"، فأية حيلة خبيثة سيتمكنون من تلفيقها زورًا في سبيل تحقيق غرضهم، في حين أن حديثنا قد ألقى الضوء على هذا اللفظ من كل ناحية، فقد اتضح أن الابن ليس مصنوعًا بل هو ــ بحسب الجوهر ــ مولود الآب، بينما بحسب تدبير التجسد ومسرة الآب الصالحة فإنه من أجلنا صُنِعَ وتشكّل كإنسان، ولذلك قيل بواسطة الرسول: " *كونه أمينًا للذى صنعه*" وفي سفر الأمثال " *قنانى*"[٦١] لأنه مادمنا نعترف أنه قد صار إنسانًا، فلا يوجد ما يمنع أن يُقال عنه كما سبق أن قيل إنه: "قد صار"، أو "قد صُنع"، أو "قد خُلق"، أو "تشكّل" أو "إنه عبد" أو "ابن أمه" أو "ابن الإنسان"، أو إنه "تكوّن" أو "رجل" أو إنه "عريس" أو "أخ"، لأن كل هذه الألفاظ إنما هي الخصائص المعروفة عن البشر، وهي لا تتحدث عن جوهر **الكلمة** بل عن صيرورته إنسانًا.

---

[٦١] أم٨:٢٢.

شرح نصوص : خامسًا:

" جَعَل يسوع .. ربًا ومسيحًا "

أع٢:٣٦

وهذا المعنى نجده أيضًا في سفر الأعمال حيث يقول بطرس الرسول " *إنه جَعَل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم ربًا ومسيحًا*"[١]. لأنه لم يُكتب هنا: " جَعَل ابنًا لذاته" أو " جعل **كلمة** لنفسه" حتى يتخيلوا عندئذٍ مثل هذه الأفكار. فإن كان لم يغب عن بالهم أنهم يتحدثون عن ابن الله، فليبحثوا إن كان قد كُتب في موضع آخر أن " الله جعل لذاته ابنًا" أو "خلق لنفسه **كلمة**" أو إن كان قد كُتب صراحة في أى موضع أن "**الكلمة** مصنوع أو مخلوق"، عندئذٍ فلينظر هؤلاء الجهلاء إن كان يمكن أن يجدوا شيئًا من هذا النوع. أما إذا لم يعثروا على شئ مثل هذا، بل هم فقط يتصيدون بعض التعبيرات المتفرقة مثل "صُنِعَ" و"قد صُنِعَ"، فإني أخشى أنهم بعد قليل، عندما يسمعون كلمات مثل " *في البدء خلق الله السماء والأرض*" و"صنع الشمس والقمر" و"صنع البحر"[٢]، فإنهم يقولون إنه السماء أو إنه هو النور الذي صار في اليوم الأول، وإنه أيضًا هو الأرض، وكل مخلوق من مخلوقاته. وبذلك فإنهم يتشبهون بالذين يُسمّون بالرواقيين[٣]. والرواقيون يعتبرون الله

---

[١] أع٢:٣٦.

[٢] تك١:١١ــ١٦.

[٣] الرواقيون هم أتباع الفلسفة الرواقية نسبة إلى رواق بوليجنوس المزخرف بأثينا والذى اتخذه زينون (٣٣٦ ــ ١٠٢ ق.م.) مقرًا له ليجتمع فيه مع أتباعه فدُعوا بالرواقيين وكانت فلسفة =

الله نفسه أنه منتشر في كل المخلوقات. أما هم فإنهم يضعون **كلمة** الله في مرتبة واحدة مع كل مخلوق من المخلوقات، خاصة أنهم قد وصلوا فعلاً إلى هذه الدرجة، وذلك عندما قالوا إنه هو من بين المخلوقات.

١٢ ــ وهنا يلزم أن يسمعوا نفس الكلام مرة أخرى. وليتعلموا أولاً أن اللوغوس هو ابن الله، كما قيل أيضًا فيما سبق، وأنه غير مخلوق، ولا ينبغي أن ينسبوا مثل هذه الألفاظ إلى ألوهيته، بل عليهم أن يفتشوا لماذا، وكيف كُتبت هذه الأقوال؟ ومما لا شك فيه أن تدبير التجسد الذي صنعه لأجلنا سيجيب على الذين يتساءلون، لأن بطرس عندما قال " *جعله ربًا ومسيحًا*" أضاف في الحال " *الذي صلبتموه أنتم*"[٤]، مما جعل الأمر واضحًا للجميع. ولعله يصير أيضًا واضحًا لهؤلاء، إن كانوا يتابعون معنى النص، إن كلمة "جَعَل" ليست عن جوهر **الكلمة** ــ بل عن ناسوته. لأن ما هو الذي صُلب سوى الجسد؟ فكيف يمكن أن يتحدث عن ما هو جسدى في **الكلمة** سوى بقوله "جَعَل (صنع)"؟. وإلى جانب ذلك، فإن قوله هنا "جَعَل"، له معنى أرثوذكسي (أي مستقيم)، لأنه لم يقل كما سبق وأوضحنا "جعله كلمته"، بل "جعله ربًا"، وليس هذا فحسب بل جعله "ربًا لكم"، و"فيما

- الرواقيين تدعو إلى السعي وراء الفضيلة والإصغاء إلى صوت الضمير وضبط العواطف والانفعالات، وكانوا يؤمنون أن كل الأشياء يؤدى إلى الخير. وقد اقتبس بولس الرسول عن شعرائهم في قوله: "*كما قال بعض شعرائكم أيضًا لأننا أيضًا ذريته*" (أع١٧: ٢٨) وهى من قول الشاعر الرواقى أراتوس.

[٤] أع٢: ٣٦.

بينكم". وهذا هو ما يعنيه بقوله "تبرهن". فبطرس نفسه كان يشير إلى هذا عينه باهتمام، عندما بدأ هذه العظة الأولى بقوله: " *أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال. يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله به في وسطكم كما أنتم أيضًا تعلمون*"[٥]. وهذه الكلمة "صنع" التى استخدمها في نهاية حديثه شرحها في بداية حديثه بكلمة "تبرهن". لأنه من الآيات والعجائب التى كان الرب يصنعها، أثبت أنه ليس إنسانًا عاديًا، بل هو الله في الجسد، وأنه هو الرب وهو المسيح. وهذا ما قاله يوحنا في إنجيله " *ومن أجل هذا كان اليهود يطاردونه، لأنه لم ينقض السبت فقط، بل أيضًا لأنه كان يقول إن الله أبوه، معادلاً نفسه بالله*"[٦]. فإن الرب لم يصنع نفسه عندئذٍ إلهًا، ولا يمكن أن يُعقل أن يكون هناك إله مصنوع، ولكنه تبرهن أنه إله من خلال أعماله عندما قال " *فإن لم تؤمنوا فآمنوا بأعمالى، لكى تعرفوا إنى في الآب والآب فيَّ*"[٧]. إذن فقد جعله الآب ربًا وملكًا في وسطنا، ولنا، نحن الذين كنا قبلاً عُصاة. فمن الواضح أن هذا الذي يظهر الآن أنه ربٌ وملك، لم يبتدئ أن يصير عندئذٍ ملكًا وربًا، بل ابتدأ أن يظهر ربوبيته، وأن تمتد ربوبيته حتى على الذين يعصونه.

١٣ ــ وإن كانوا يعتقدون أن المخلّص لم يكن ربًا وملكًا، حتى

---

[٥] أع٢:٣٦.

[٦] يو٥:١٨.

[٧] يو١٠:٣٨.

قبل أن يصير إنسانًا وقبل أن يحتمل موت الصليب، وأنه عندئذٍ بدأ أن يكون ربًا، فليتهم يعرفون أنهم يرجعون من جديد إلى أقوال الساموساطى[8] بصراحة. ولكن، إن كان كما سبق أن اقتبسناه وذكرناه أن الرب ملك أزلى، وأن إبراهيم كان يعبده كرب. وموسى قال " *فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتًا ونارًا من عند الرب من السماء*"[9]. وداود يقول في المزامير " *قال الرب لربى اجلس عن يمينى*"[10]. و" *عرشك يا الله إلى دهر الدهور، صولجان استقامة هو صولجان ملكك*"[11]، و" *ملكك ملك كل الدهور*"[12]. فواضح أنه كان ملكًا وربًا سرمديًا قبل أن يصير إنسانًا لكونه صورة الآب **وكلمته**. وحيث إن **الكلمة** هو رب وملك أزلى فيتضح أيضًا أن بطرس لم يقل إن جوهر الابن قد صُنع، بل أن ربوبيته علينا هي التى حدثت حينما صار إنسانًا، وأنه بافتدائه الكل بالصليب، قد صار رب الجميع وملكًا عليهم، وإن كانوا يجادلون بسبب أنه مكتوب "جَعَل" ولا يريدون أن يقروا بأن "جَعَل" تعنى "أَظْهر"، أو بسبب عدم فهمهم، أو بسبب ميلهم

---

[8] كان بولس الساموساطى أسقفًا لأنطاكية (٢٦٠ ــ ٢٦٨) وأُدين في عام ٢٦٨ بعد سلسلة من المجامع التى من خلالها ظهر ضلال عقائده. وحسب تعليم هرطقته اعتبر أن المسيح كان مجرد إنسانًا عاديًا ثم صار إلهًا بسبب جدارة عظمة شخصيته التى استحقها بسبب التبنى (ولذلك سُمىَ مشايعوه بأصحاب تعليم التبنى) وهكذا أنكر الساموساطى تعليم الثالوث القدوس وتعليم التجسد ولكنه اعترف فقط أن المسيح أفضل من موسى والأنبياء.

[9] تك١٩: ٢٤.

[10] مز١١٠: ١.

[11] مز٤٥: ٦.

[12] مز١٤٥: ١٣.

لمعاداة المسيح، فلم يسمعوا مرة أخرى أن أقوال بطرس لها معنى مستقيم. لأن الذي يصير ربًا لآخرين، فإنه يملك على الذين هم بالفعل تحت سلطانه الآن. أما إن كان الرب خالق الكلّ، وملك أبدى، فعندما صار إنسانًا اقتنانا نحن أيضا. وبهذا يصير واضحًا أن ما قاله بطرس لا يعنى أن جوهر **الكلمة** مصنوع، بل يعنى أن خضوع الكلّ له فيما بعد وأن ربوبية المخلّص هي التى قد صارت، على الكلّ. وهذا يوافق ما سبق أن قلناه. لأنه مثلما استشهدنا هناك بالأقوال التى تقول: "*كن لى إلهًا معينًا*"[١٣] و"*صار الرب أيضًا ملجأ للمسكين*"[١٤]، واتضح أن هذه الأقوال لا تعنى أن الله مخلوق، بل تشير إلى إحسانه المُقدم منه لكل واحد، وهكذا فإن قول بطرس له نفس المعنى.

١٤ ــ ولما كان ابن الله نفسه هو **الكلمة** فهو رب الكل. إلاّ أننا خضعنا منذ البدء "لعبودية الفساد" و"لعنة الناموس"، ورويدًا رويدًا، صنعنا لأنفسنا موجودات (معبودات) خدمناها[١٥]، كما قال الرسول المغبوط[١٦]، "*واستُعبدنا للذين ليسوا بالطبيعة آلهة*"[١٧]، فأنكرنا الإله الحقيقي وفضلّنا الأشياء غير الموجودة على الحق. إلاّ أنه فيما بعد مثلما تأوه الشعب القديم متضجرًا في مصر، بعد أن ثقل كاهله، هكذا نحن أيضًا الذين لدينا الناموس المغروس في الضمير، وبحسب أنات

---

[١٣] مز٣١:٣.

[١٤] مز٩:٩.

[١٥] انظر القديس أثناسيوس: ضد الآريوسيين فصل٢:١.

[١٦] رو١:٢٥.

[١٧] غل٤:٨.

الروح التى لا يُنطق بها[18] بدأنا نصرخ قائلين: " *أيها الرب إلهنا امتلكنا*"[19]. وقد " صار لنا بيت ملجأ"، و"إله معين". هكذا أيضًا قد صار الرب بالنسبة لنا، ولم يكن هذا هو بدء وجوده، بل نحن الذين بدأنا نأخذه ربًا لنا. ومن ثم لأن الله صالح وهو أبو الرب، وإذ تحنن وأراد أن يصير معروفًا من الجميع، فقد جعل ابنه الذاتى يلبس جسدًا بشريًا ويصير إنسانًا ويُدعى يسوع، لكي يبذل نفسه في هذا الجسد لأجل الجميع، ويخلّص الجميع من الضلال بعيدًا عن الله، ومن الهلاك، ويصير هو نفسه ربًا وملكًا للكلّ. لذلك فإن صيرورته ربًا وملكًا، هو نفس ما قصده بطرس بقوله "*جعله ربًا، وأرسله مسيحًا*"[20]. وهذا مشابه للقول إن الرب إذ قد جعل منه إنسانًا ــ لأنه أمر يخص الإنسان أن يكون مصنوعًا ــ فهو لم يجعله إنسانًا فقط بل جعله هكذا لأنه يكون ربًا على الجميع ويقدّس الكلّ بواسطة المسحة. لأنه وإن كان **الكلمة** وهو في صورة الله، اتخذ صورة عبد، إلاّ أن اتخاذه للجسد لم يجعل **الكلمة** وهو رب بالطبيعة أن يكون عبدًا، بل بالأحرى فإن **الكلمة** بهذا الحدث (اتخاذ الجسد) قد حرّر كل البشرية. إن **الكلمة** نفسه وهو بالطبيعة الرب **الكلمة** قد جُعِلَ إنسانًا، ومن خلال صورة العبد صار رب الجميع ومسيحًا، أى لكي يقدّس الجميع بالروح. وكما أن الله عندما صار إلهًا معينًا قائلاً: " *سأكون لهم إلهًا*"[21]، فإنه لم

---

[18] رو٨: ٢٦.

[19] إش٢٦: ١٣ (سبعينية).

[20] انظر أع٢: ٣٦.

[21] خر٣٧: ٢٧.

يصر في ذلك الوقت إلهًا أكثر من ذي قبل، ولم يبتدئ عندئذٍ أن يصير إلهًا، بل إن هذا هو الأمر الواقع دائمًا، ولكنه صار هكذا للمحتاجين إليه حينما سُرّ بذلك. وهكذا أيضًا المسيح إذ هو بالطبيعة رب وملك أزلي، لم يصر ربًا عندما أُرسل، ولم يبتدئ عندئذٍ أن يكون ربًا وملكًا، بل هذا هو الأمر الواقع دائمًا، إنما قد جُعل هكذا بحسب الجسد. ولأنه صار فاديًا للجميع، فقد صار رب الأحياء والأموات. ولذلك فإن كل الأشياء تخضع له، وهذا أيضًا هو ما يعنيه داود حينما يترنم: " *قال الرب لربي. اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك*"[٢٢]. لأنه لا يجب أن يكون الفداء عن أي طريق آخر سوى عن طريق ذاك الذي هو رب بالطبيعة، لئلا بعد أن خلقنا الابن فإننا ندعو لنا ربًا آخر، أو نسقط في الحماقة الآريوسية والوثنية بأن نعبد المخلوق من دون خالق جميع الأشياء[٢٣].

١٥ ــ هذا هو المعنى المقصود من هذا القول ــ وذلك على قدر حقارتي ــ لأن أقوال بطرس هذه الموجهة إلى اليهود، لها سبب حقيقي وصحيح لأن اليهود إذ ضلّوا عن الحق وزاغوا، مازالوا ينتظرون مجيء المسيح ظانين أنه لن يقاسي ألمًا عندما يأتي، ويقولون ما لا يفهمونه: " *نحن نعرف أنه عندما يأتي المسيح سيبقى إلى الأبد. فكيف تقول أنت إنه ينبغي أن يُرفع*"[٢٤] وهم أيضًا لا يرون

[٢٢] مز ١:١١٠.

[٢٣] رو ٢٥:١.

[٢٤] يو ٣٤:١٢.

أنه الله الذي جاء في الجسد، بل إنه مجرد إنسان سامى مثل كل الملوك. ولذا وبّخ الرب كليوباس والذي معه معلمًا إياهما "*أن المسيح ينبغي أن يتألم أولاً*"[25]. وهكذا فعل أيضًا مع اليهود الآخرين معلمًا إياهم أن الله أقام في وسطهم عندما قال: "*إن قال آلهةً لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله ولا يمكن أن يُنقض المكتوب، فالذي قدّسه الآب وأرسله إلى العالم، أتقولون أنتم إنك تجدف لأنى قلت إنى ابن الله*"[26].

١٦ ــ ولأن بطرس قد عرف هذه الأمور من المخلّص، فقد قوّم أفكار اليهود في كلتا الحالتين وكأنه يقول: [أيها اليهود إن الكتب المقدسة تعلن أن المسيح قادم، وأنتم تظنونه إنسانًا بسيطًا كواحد من نسل داود، أمّا ما كُتب عنه فيبيّن أنه ليس مثلما تقولونه أنتم، بل بالحرى يعلن أنه رب وإله، وغير مائت، وهو واهب الحياة. لأن موسى يقول: "*سترون حياتكم معلقة قدام عيونكم*"[27]، وداود يقول في المزمور المئة والتاسع: "*قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك*"[28] وفي المزمور الخامس عشر "*لن تترك نفسي في الهاوية، ولن تدع قدوسك يرى فسادًا*"[29] لأن مثل هذه القوال، في الواقع لا تعود على داود، فهو نفسه يشهد قائلاً بأن الآتي

---

[25] لو٢٤: ٢٦.

[26] يو١٠: ٣٥ــ٣٦.

[27] تث٢٨: ٦٦، هكذا فهم الآباء هذا النص. راجع كتاب "تجسد الكلمة"، المرجع السابق فصل ٣٥.

[28] ١١٠: ١ في الطبعة المتداولة.

[29] مز١٦: ١٠ في الطبعة المتداولة.

هو ربه، وأنتم أنفسكم تشهدون أن داود قد مات ورفاته موجود لديكم. فإن كان المسيح يجب أن يكون هكذا كما تتحدث عنه الكتب، فأنتم أنفسكم يجب أن تعترفوا به لأن هذه الكلمات قد قالها الله، ولا يمكن أن يعتريها أي كذب. فإن استطعتم أن تثبتوا أن هناك شخصًا مثل هذا قد جاء قبل ذلك، وتستطيعون أن تبرهنوا أنه هو الله، من الآيات والمعجزات التي يكون قد صنعها، فيحق لكم أن تجادلوا. أما إن لم تتمكنوا من إثبات أن مثل هذا الشخص قد أتى، بل لا تزالون تنتظرونه، إذن فاعرفوا وقت مجيئه من نبوات دانيال. لأن ما قاله إنما يشير إلى الوقت الحاضر. فإن كان هذا الوقت الحاضر هو الوقت الذي سبق الإعلان عنه، وشاهدتم الأحداث التي وقعت بيننا الآن، فإن (يسوع) هذا الذي صلبتموه أنتم، هو المسيح نفسه، وهو المسيح المُنتظر. لأن داود وكل الأنبياء ماتوا وقبورهم عندكم. أما القيامة التي حدثت الآن فإنها توضح أن ما قد كُتِبَ يخبر عنه.

لأن الصلب هو المقصود بالقول: " *سترون حياتكم معلقة*"[30] وجرحه بالحربة في جنبه هو تكميل للقول "*كشاة سيقت إلى الذبح*"[31]. وقيامته ــ ليس هو وحده ــ بل قيامة الموتى القدامى من قبورهم (لأن غالبيتكم قد شاهدوهم)، هي ما يعنيه القول: "*لن تترك نفسي في الهاوية*"[32]. و"ابتلع الموت بقوته" وأيضًا " *الرب مُسح*"[33]. لأن هذه

[30] تث٢٨:٦٦.

[31] إش٥:٧.

[32] مز١٦:١٠.

[33] إش٢٥:٨.

العلامات التى حدثت فعلاً تثبت أن هذا الذي في الجسد هو الله، وأنه هو الحياة ــ وهو رب الموت. فالمسيح الذي هو واهب الحياة للآخرين لا ينبغي أن يسود عليه الموت. وهذا ما كان ممكنًا أن يحدث لو كان المسيح إنسانًا عاديًا كما تعتقدون أنتم، بل هو بالحقيقة، ابن الله. لأن جميع الناس خاضعون للموت. من أجل هذا لا ينبغى لأحد أن يشك فيما بعد، بل ليعلم كل بيت إسرائيل تمامًا، أن يسوع هذا، الذي رأيتموه إنسانًا في مظهره الخارجي، وهو يصنع آيات وأعمالاً مثل هذه ــ التى لم يصنع مثلها أحد قط ــ هو نفسه المسيح ورب الجميع. لأنه رغم أنه صار إنسانًا ودُعىّ باسم "يسوع" كما سبق أن قلنا، إلاّ أن قَدرِه لم ينقص بالآلام البشرية. بل بالحرى، فإنه بصيرورته إنسانًا قد برّهن أنه رب الأحياء والأموات. "*لأنه إذ كان العالم في حكمة الله، لم يعرف الله بالحكمة، استحسن الله أن يخلّص المؤمنين بواسطة جهالة الكرازة*"[٣٤]. وهكذا نحن البشر أيضًا، عندما رفضنا أن نعرف الله من خلال **كلمته**، ورفضنا أن نخدم سيدنا الطبيعى: **كلمة** الله، استحسن الله أن يُظهر ربوبيته الذاتية في الإنسان، وأن يجتذب الجميع نحو نفسه[٣٥]. ولم يكن من اللائق أن يصنع هذا بواسطة إنسان عادى حتى لا نصير عابدى بشر باتخاذنا الإنسان ربًا، ولأجل ذلك فقد صار **الكلمة** نفسه جسدًا، ودعاه الآب يسوع. وهكذا جعله ربًا ومسيحًا. بمعنى أنك تقول: "جعله لكي يسود ويملك". ولأنه باسم يسوع ــ الذي صلبتموه ــ أنتم ــ تنحنى كل ركبة، فإننا نعترف

---

[٣٤] اكو ١:٢١.

[٣٥] انظر كتاب "تجسد الكلمة"، المرجع السابق فصل ٤٣.

أن الابن نفسه هو الرب والملك، ومن خلاله فقد نعترف أن الآب هو أيضًا الرب والملك].

١٧ ــ وعندما سمع غالبية اليهود هذه الأقوال رجعوا إلى أنفسهم، ثم اعترفوا بالمسيح كما هو مكتوب في سفر الأعمال[٣٦]. ولأن مجانين الآريوسية[٣٧] قد اختاروا أن يظلوا يهودًا، وأن يناضلوا ضد بطرس، لذلك هيّا بنا نقتبس لهم عبارات مماثلة، فربما يتحولون بهذه الطريقة عندما يتعلمون أسلوب الكتب المقدسة. فقد اتضح مما سبق أن المسيح رب أزلي وملك، ولا يشك أحد في هذا القول. فلأنه هو ابن الله، فإنه يلزم أن يكون مماثلاً له، ولكونه مماثلاً فهو قطعًا رب وملك معًا. فقد قال هو عن نفسه " *من رآني فقد رأى الآب*"[٣٨]. أما وأن عبارة بطرس هذه: " *جَعَله ربًا ومسيحًا*"، لا تعنى أن الابن مصنوع، فهذا ممكن أن نراه من بركة اسحق ــ رغم أن هذه الصورة باهتة نوعًا ما من جهة هذا الموضوع المطروح للبحث ــ وذلك عندما قال ليعقوب "*كن سيدًا لأخيك*"[٣٩]، وقال لعيسو " *هأنذا قد جعلته سيدًا لك*"[٤٠].

إذن حتى لو كان لفظ "جَعَل" يشير إلى جوهر يعقوب وبدء وجوده فما كان ينبغي لهؤلاء أن يفكروا بمثل هذه الأفكار عن **كلمة** الله، لأن ابن الله ليس مخلوقًا مثل يعقوب. ومع ذلك فقد كان في وسعهم أن

---

[٣٦] أع٢:٣٧.

[٣٧] راجع فصل ١٤:١ ص١٠.

[٣٨] يو١٤:٩.

[٣٩] تك٢٧:٢٩.

[٤٠] تك٢٧:٣٧.

يستوضحوا الأمر ويعرفوه حتى لا يتمادوا أكثر في جنونهم. فإن فهموا هذه الأمور على أنها لا تخص الجوهر ولا بداية الوجود ــ على الرغم من أن يعقوب مخلوق ومصنوع بحسب الطبيعة ــ فكيف لا يكونون أكثر جنونًا من الشيطان، عندما يتجاسرون أن ينسبوا لابن الله تلك الأوصاف التى لا يتجاسرون أن يلصقوها بالكائنات المخلوقة بالطبيعة، ويقولون عنه إنه مخلوق؟ فإن قول إسحق "كن" و"جعلته" لا يعنى بداية خلقة يعقوب ولا جوهره، لأنه قال هذا بعد ثلاثين سنة أو أكثر من ميلاد يعقوب، ولكن سيادته على أخيه هى التى حدثت بعد ذلك.

١٨ ــ إذن فبطرس بالأحرى ــ ما كان يقصد بهذه الكلمات أن جوهر **الكلمة** مخلوق لأنه يعرف أنه ابن الله، إذ أنه قد اعترف قائلاً: "*أنت هو المسيح ابن الله الحي*"[٤١]، ولكنه يقصد بها ملكوته وسيادته التى تحققت وصارت فينا بحسب النعمة. وهو حينما قال هذا لم يصمت عن الحديث عن ألوهية ابن الله الأزلية التى هي أيضًا للآب. لأنه قد سبق وقال إنه قد سكب الروح علينا[٤٢]، إذ ليس من طبيعة الخليقة ولا الأشياء المصنوعة أن تُعطى الروح بسلطان، بل هو عطية الله. فالمخلوقات تتقدس بواسطة الروح، أما الابن فحيث إنه لا يتقدس بواسطة الروح بل بالأحرى هو الذى يعطى الروح للجميع، لذلك فهو ليس مخلوقًا، بل هو ابن الآب الحقيقي. ورغم أنه هو واهب الروح، إلاّ أنه يُقال عنه أيضًا إنه قد صُنِعَ، وهذا يعنى أنه صُنِعَ ربًا

---

[٤١] مت١٦:١٦.

[٤٢] أع٢:١٧.

فيما بيننا من خلال بشريّته، في حين أنه واهب الروح لأنه **كلمة** الله. لأنه كما كان ابنًا على الدوام ولا يزال دائمًا، فهو أيضًا رب وسلطان على الجميع، لكونه مثل الآب في كل شئ وله كل ما للآب كما قال هو نفسه[٤٣].

[٤٣] يو ١٦:١٥.

الفصل السادس عشر

مقدمة لشرح أمثال٨:٢٢
" الرب قنانى أول طرقه "
أن الابن ليس مخلوقـًا

١٨ (تكملة) ــ هيّا إذن فلنتأمل ما قيل في سفر الأمثال: " *الرب قنانى (خلقنى) أول طرقه لأجل أعماله*" (أم٨:٢٢ سبعينية). رغم أننا إذ قد أوضحنا أن **الكلمة** ليس مصنوعًا، فهذا يدل أيضًا على أنه ليس مخلوقًا. فأن يُقال عنه إنه مصنوع هو نفس معنى أن يُقال عنه إنه مخلوق، لذا فإن البرهان على أنه غير مصنوع هو نفس البرهان على أنه ليس مخلوقًا. لهذا قد يُدهش البعض مما يخترعه هؤلاء من تبريرات لكفرهم، غير مستحين من البراهين التى أقمناها لكل نقطة على حدة. لأنهم قبل كل شئ، أخذوا يخدعون البسطاء بأسئلتهم مثل: "هل الكائن قد صنَع من غير الموجود كائنًا غير موجود أم كائنًا موجودًا؟" وأيضًا "هل كان لك ابن قبل أن تلده؟". ولما اتضح أن كلامهم هذا فاسد وبلا أساس، أخذوا يخترعون هذا السؤال " هل يوجد واحد فقط غير مخلوق أم اثنان؟" وبعد أن دحضتُ أفكارهم سرعان ما أضافوا "هل له إرادة حرة؟ وهل طبيعته قابلة للتغيير؟"[1]. ولكن بعد أن رفضت هذه أيضًا يقولون في الحال " *صائرًا أعظم من الملائكة بهذا القدر*"[2]. وحينما دحضت الحقيقة هذا الإدعاء أيضًا، فهم الآن، وقد ساقوا كل تلك الأقوال معًا يظنون أنهم عن طريق لفظتى

---

[1] انظر "ضد الآريوسيين"، المرجع السابق المقالة الأولى: الفصل العاشر.

[2] عب١:٤.

"مصنوع"، و"مخلوق" سيدعمون هرطقتهم. فإن هذا هو ما يعنونه أيضًا، فهم لم يتخلوا عن خبثهم وسوء نيتهم، إذ هم يحوّرون ويشكّلون هرطقتهم نفسها بأشكال متنوعة، لعلهم يستطيعون أن يخدعوا البعض عن طريق هذه الأشكال المتغيرة، رغم أن كل ما سبق أن قلناه يثبت بطلان حجتهم. ولكن حيث إنهم ملأوا كل مكان بهذا القول المأخوذ من سفر الأمثال حتى يبدو هذا القول لدى كثيرين من الذين يجهلون العقيدة المسيحية أنه يعنى شيئًا ما، فإنه من الضرورى أن نوضح هنا القول مثلما اوضحنا عبارة "*كونه أمينًا للذى أقامه*"[٣]، وبنفس الطريقة سنفحص لفظ "قنى" (خلق) كى يظهر للجميع أنهم في هذا الأمر ــ كما في غيره ــ لا يملكون شيئًا سوى الخيال.

١٩ ــ أولاً، يلزم أن نرى الإجابات التى أجابوا بها على المُطوب الذكر "الكسندروس"[٤] في بادئ الأمر عندما ابتدعوا هرطقتهم، فقد كتبوا هكذا: "إنه مخلوق ولكن ليس واحدًا من المخلوقات. إنه مصنوع ولكنه ليس واحدًا من المصنوعات، إنه مولود ولكنه ليس واحدًا من المولودين". إذن فليحذر كل واحد خبث هذه البدعة ودهائها، ذلك لأنها بعد أن عرفت مرارة انحرافها وضلالها، اضطرت أن تزين نفسها باستعمال ألفاظ تحتمل معانى مختلفة، فتقول "إنه مخلوق" وهذا ما تعتقده، ولكنها تظن أنها تستطيع أن تخفى ذاتها بقولها "ولكنه ليس كواحد من المخلوقات". فهم بكتاباتهم هكذا قد كشفوا كفرهم أكثر.

---

[٣] عب٣: ٢.

[٤] كان البابا ألكسندروس أسقفًا لكرسى الأسكندرية عندما ظهرت الهرطقة الآريوسية. وهو أول من تصدى لها. انظر المقدمة المنشورة عن الآريوسية في بداية المقالة الأولى ضد الآريوسيين.

لأنه إن كان وفقًا لرأيكم أنه مخلوق، فكيف تتظاهرون بقولكم "لكن ليس كواحد من المخلوقات"؟ وإن كان هو "مصنوعًا" فكيف يكون "ليس كواحد من المصنوعات"؟. وفي كلامهم هذا يمكن أن نرى سم الهرطقة. لأنه بقولهم "مولود" ولكن "ليس كواحد من المولودين" فإنهم يقدمون أبناء كثيرين ويقرون أن الرب أيضًا واحد من بينهم، فإنه حسب اعتقادهم ليس بعد "وحيد الجنس" بل إنه واحد بين اخوة عديدين، وإنه يسمّى مولودًا وابنًا. فأية فائدة إذن من القول بانه من ناحية مخلوق، ومن ناحية أخرى غير مخلوق؟ وأيضًا لو قلتم "ليس كواحد من المخلوقات" فإنى سأثبت أن مغالطتكم هذه خالية من الحكمة. فإنكم لا تزالون تقولون "إنه واحد من المخلوقات". والأشياء التى يمكن أن يقولها أحد الناس عن سائر المخلوقات، تفكرون بها أنتم هكذا عن الابن كجهلاء وعميان حقًا. فهل أى مخلوق من المخلوقات هو مثل الآخر حتى تنسبوا هذا للابن كشئ مميز له؟ وكل الخليقة المرئية قد تكوّنت في ستة أيام. ففى اليوم الأول عمل النور الذي دعاه نهارًا، وفي اليوم الثاني كان الجلَد، وفي اليوم الثالث بعد أن جمع الماء أظهر اليابسة، وأنبت فيها مختلف الثمار وفي اليوم الرابع صنع الشمس والقمر وكل النجوم. أما في اليوم الخامس فقد خلَق جنس الأحياء في البحر، والطيور في الهواء. وصنع في اليوم السادس ذوات الأربع التى على الأرض، وبعد ذلك الإنسان.

" إن أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم مُدركة

بالمصنوعات"[٥]. فالنور ليس كالليل ولا الشمس كالقمر. ولا غير العاقل كالإنسان العاقل، ولا الملائكة كالعروش، ولا العروش كالسلاطين، فكلها مخلوقات ولكن كل واحد حسب نوعه من المخلوقات، يوجد ويظل في جوهره الذاتى كما خُلق.

٢٠ ــ وعندئذٍ إما يُستثنى **الكلمة** من بين المصنوعات، وكخالق يُنسب إلى أبيه ويُعترف به أنه ابن بالطبيعة، أو أن يكون مجرد خليقة وعندئذٍ يُعترف به أن له وضعه الخاص الذي للمخلوقات الأخرى تجاه بعضها البعض. فليُقَل إذن عن كل هذه المخلوقات كما يُقال عنه، "خليقة ولكن ليس كواحد من المخلوقات. مولود أو مصنوع وليس كواحد من المصنوعين أو المولودين؟"، لأنكم قد قلتم إن "المولود" هو نفسه "المصنوع" عندما كتبتم: "مولود أو مصنوع". وبالإضافة إلى ذلك إن كان الابن يتفوق على سائر المخلوقات الأخرى بالمقارنة فإنه كمخلوق يظل مثل سائر المخلوقات. فإنه بالنسبة لتلك المخلوقات التى هي بطبيعتها مخلوقة، ممكن أن نجد البعض يتفوق على البعض الآخر "*لأن نجمًا يمتاز عن نجم في المجد*"[٦]. لأنه يوجد اختلاف بين سائر المخلوقات عند مقارنتها بعضها ببعض، ولكن ليس معنى هذا أن بعضها سادة، والبعض الاخر تخدم الأسمى منها، ولا يكون البعض علّة للمصنوعات والبعض الآخر ناتجًا منها. ولكن عمومًا فإن جميع الأشياء لها طبيعة صائرة ومخلوقة، وكلها تعترف فى ذاتها

---

[٥] رو١:٢٠.

[٦] ١كو١٥:٤١.

بخالقها كما يترنم داود: " *السموات تُحدِّث بمجد الله، والفلك يُخبر بعمل يديه*"[٧]. كما يقول أيضًا الحكيم زربابل: " *كل الأرض تنادى والسماء تباركه، وكل المصنوعات تتزلزل وترتعد*"[٨]. فإن كانت الأرض تسبح الخالق والحق وتباركه وترتعد أمامه، وإن كان خالقها هو **الكلمة**، وهو ذاته يقول: " *أنا هو الحق*"[٩]، فتبعًا لذلك لا يكون **الكلمة** مخلوقًا، فهو الوحيد الذي من ذات الآب، والذي دبر كل الأشياء، وجميعها تسبحه كخالق، كما يقول هو ذاته: " *كنت عنده مدبرًا*"[١٠] و" *أبي يعمل حتى الآن وأنا أيضًا أعمل*"[١١]، إن تعبير "حتى الآن" يدل على أنه كائن **ككلمة** في الآب منذ الأزل، لأنه من خاصية **الكلمة** أن يعمل أعمال الآب ولا يكون خارجًا عنه.

٢١ ــ وإن كانت هذه الأشياء التى يعملها الآب يعملها الابن أيضًا، والأشياء التى يخلقها الابن هي مخلوقات الآب، ومع ذلك يكون عمل الابن هو عمل الآب وخلقه، فعندئذٍ إما سيصنع نفسه ويكون هو خالق نفسه (حيث إن الأعمال التى يعملها الآب هي الأعمال التى يعملها الابن)، وهذا أمر غير معقول ومستحيل. أو إن كان يخلق ويعمل مخلوقات الآب، فلا يمكن أن يكون هو عملاً ولا خليقة. لأنه إن كان هو علّة خالقه، وفي نفس الوقت مصنوعًا = مخلوقًا (حسب قولكم)

---

[٧] مز ١:١٩.

[٨] عزرا الأول ٣٦:٣ (من الأسفار القانونية الثانية حسب النسخة اليونانية).

[٩] يو ٦:١٤.

[١٠] أم٨:٣٠ سبعينية.

[١١] يو ١٧:٥.

فإن هذا يجعل نفس الشئ يحدث في حالة المخلوقات كما حدث معه (أى تصير مخلوقة وخالقة في نفس الوقت) وإلاّ فإنه لا يكون قادرًا أن يصنع على الإطلاق. لأنه كيف يكون قد صار من العدم ــ كما تقولون ــ ويكون في إمكانه أن يخلق ويجلب إلى الوجود الأشياء غير الموجودة؟ فإن كان وهو نفسه يقوم بالخلق، فمن الممكن أن يُفهم أن هذا الأمر يحدث أيضًا لكل مخلوق حتى أنه يكون في وسع هذه المخلوقات أن تخلق. فإن كنتم تريدون أن يكون الأمر هكذا، فما الحاجة إذن إلى وجود **الكلمة** طالما أنه يكون في وسع المخلوقات الأقل منزلة أن تخلق المخلوقات الأسمى منها ــ أو إن كان في إمكان كل مخلوق ــ على وجه الإطلاق ــ أن يسمع مباشرة من الله منذ البدء "كن" و"فلتُخلق"، وتكون هذه هي الطريقة التى تكونت بها سائر الأشياء ولكن هذا لم يُكتب، وليس ممكنًا أن يُكتب هكذا لأنه ليس من الممكن أن يكون أحد المخلوقات علّة خالقة، لأن كل الأشياء قد صارت **بالكلمة**، فلو كان **الكلمة** ذاته معدودًا بين المخلوقات كما كان في استطاعته أن يخلق كل الأشياء. بل ولا الملائكة أيضًا يستطيعون أن يخلقوا لأنهم هم أيضًا من بين المخلوقات[١٢]، حتى إن كان فالنتينوس[١٣] وماركيون[١٤] وباسيليدس[١٥] يعتقدون بذلك وأنتم تتمثلون

---

[١٢] عن حقيقة أن الملائكة من المخلوقات وبالتالى لا تستطيع فداء الإنسان انظر تجسد الكلمة، المرجع السابق، فصل ٧/١٣.

[١٣] فالنتينوس: يُعد من أبرز الكتبة الغنوسيين وكثيرًا ما كان يمزج ما هو شعرى بما هو تأملى. وكان يعلّم فى روما بين سنتى ١٤٠، ١٦٠م.

[١٤] ماركيون: هرطوقى عاش وعلّم فى القرن الثانى، رغم نشاته المسيحية إلاّ أنه اعتنق الفكر الغنوسى فيما بعد وأنكر العهد القديم وإنجيل لوقا ورسائل بولس الرسول.

بهم. ولا الشمس لكونها مخلوق تستطيع أن تجلب إلى الوجود ما هو غير موجود، ولا يستطيع الإنسان أن يخلق إنسانًا، ولا الحجر حجرًا، ولا يتكاثر الخشب من خشب.

إنما هو الله " *الذى صوّر الإنسان في الرحم*"[١٦]. وهو الذي ثبّت الجبال، والذى ينمّى الأشجار. أما الإنسان فلكونه قادرًا على تحصيل المعرفة، فإنه يرتب هذه المادة ويصنفها، ويصنّع أشياء من المادة الموجودة كما تعلّم، ويكون راضيًا بصناعته لها. ولأنه عرف طبيعة نفسه، فإنه عندما يحتاج إلى شئ، يعرف أن يطلبه من الله.

٢٢ ــ إذن فإن كان الله أيضًا يصنع ويشكّل شيئًا من المادة الموجودة سابقًا، كما تعلّم الفلسفة اليونانية، فإن الله لن يُدع خالقًا بل فنانًا، وهكذا فإن **الكلمة** سيعمل الأشياء بأمر من الله وفي خدمته[١٧].

ولكن إن كان الله قد دعا الأشياء غير الموجودة إلى الوجود بواسطة **كلمته** الذاتى، فلا يكون **الكلمة** من بين الأشياء غير الموجودة والتى دُعيت (إلى الوجود)، وإلاّ فلنبحث عن **كلمة** آخر بواسطته دُعى **الكلمة** نفسه أيضًا إلى الوجود ــ لأن كل الأشياء غير الموجودة قد صارت **بالكلمة**. وإن كان الآب يخلق ويصنع به، فلا يكون هو نفسه من بين الأشياء المخلوقة والمصنوعة، بل بالأحرى هو **كلمة** الله الخالق، ومن الأعمال الآب التى يعملها هو ذاته، يُعرف أنه "في

---

[١٥] باسيليدس: هرطوقى غنوسى كان يعلّم فى ألسكندرية فى أيام هادريان (١١٧ ــ ١٣٨م).

[١٦] إر ١:٥.

[١٧] وفي موضع آخر يؤكد القديس أثناسيوس على حقيقة أن الله يخلق كل شئ بالكلمة من العدم وليس من مادة موجودة. انظر كتاب "تجسد الكلمة"، المرجع السابق فصل ٥ فقرة ٣.

الآب والآب فيه"، وأن " *من رآه فقد رأى الآب*"[١٨]، وذلك بسبب أن جوهر الابن هو جوهر الآب ومماثل له في كل شئ. فكيف إذن يخلق به إن لم يكن هو نفسه **كلمته** وحكمته؟ وكيف يمكن أن يكون **كلمته** وحكمته إن لم يكن هو مولود جوهره الذاتي، ولا يكون واحدًا من المخلوقات مثل الأشياء الأخرى؟ وإن كانت كل الأشياء قد صارت من العدم، وهي كائنات مخلوقة، وإن كان الابن ــ حسب معتقداتهم ــ هو واحد من بين المخلوقات التى لم تكن موجودة في وقت ما، فكيف يكون هو وحده الذي يُعلن الآب وهو وحده الذى يعرفه؟

لأنه إن كان ممكنًا له أن يعرف الآب بالرغم من كونه مخلوقًا، فإن جميع المخلوقات أيضًا إذن يمكنها أن تعرف الآب، بحسب قياس المخلوقات، لأن جميع المخلوقات أيضًا مصنوعة مثله. وإن كان من غير الممكن للمخلوقات أن ترى الآب وتعرفه لأن هذه الرؤية وهذه المعرفة تعلو على مستوى جميع المخلوقات، فالله نفسه قد قال: " *لا أحد يرى وجهي ويعيش*"[١٩]. أما الابن فقال: "*ليس أحد يعرف الآب إلّا الابن*"[٢٠]. إذن فإن الكلمة مختلف عن المخلوقات، وهو وحده الذى يعرف الآب ويراه كما قال "*ليس أحد قد رأى الآب إلّا الذى هو من الآب*"[٢١]، وأيضًا "*ليس أحد يعرف الآب إلّا الابن*". وإن كان هذا لا يروق لآريوس، فكيف إذن عرفه (أى عرف الآب) هو وحده إن لم

---

[١٨] يو١٤: ٩.

[١٩] خر٣٣: ٢٠.

[٢٠] مت١٠: ٢٧.

[٢١] يو٦: ٤٦.

يكن هو نفسه من ذات الآب؟ وكيف يمكن أن يكون من ذات الآب لو كان مخلوقًا ولم يكن ابنًا حقيقيًا منه؟ لأنه يجب ألاّ نملّ من تكرار نفس الأقوال المتعلقة بالتقوى مرارًا[22]. ولذلك فإنه يعدّ تجديفًا أن يعتقد أحد بأن الابن هو واحد من بين جميع المخلوقات. وأنه من التجديف والغباء أن يُقال " مخلوق ولكنه ليس كواحد من المخلوقات" و"مصنوع ولكنه ليس كواحد من (المصنوعات)"، و"مولود ولكنه ليس كواحد من بين المولودين". لأنه كيف لا يكون واحد من بين تلك المخلوقات لو أنه من وجهة نظرهم لم يكن موجودًا قبل أن يُولد؟ لأن خاصية المخلوقات والمصنوعات هي أنها تكون غير موجودة قبل أن تُخلق، وأنها تُوجد من العدم، حتى لو كانت هناك فروق بين المخلوقات بسبب اختلافها في المجد، فإن هذا الفرق بين الواحد والآخر يوجد في جميع المخلوقات ويتضح في كل المرئيات.

٢٣ ـ ولكن إن كان الهراطقة يحسبون الابن "مخلوقًا أو مصنوعًا ولكن ليس كواحد من المخلوقات" بسبب تفوقه عنها في المجد، لكان من الواجب أن تظهره الأسفار المقدسة وتميزه فى درجة أسمى بالمقارنة بالمصنوعات الأخرى، فمثلاً كان يجب أن يُقال إنه أعظم من رؤساء الملائكة، وإنه أكثر كرامة من العروش، أو أكثر بهاءً من الشمس والقمر، وأعظم أيضًا من السموات. ولكن الواقع أن الكتب المقدس لا تذكره هكذا، بل إن الآب يُظهره أنه ابنه الذاتى والوحيد

---

[22] يُفضل القديس أثناسيوس تكرار المعنى الذي يريد توضيحه باستخدام طرق متعددة من شرحه وهو ينبه القارئ دائمًا إلى عملية التكرار. انظر فصل ٨٠ وأيضًا تجسد الكلمة، المرجع السابق فصل ٣/٢٠.

بقوله: " *إنك أنت ابنى*"[٢٣]، و" *هذا ابنى الحبيب الذى به سُررت*"[٢٤]. ولهذا صارت " *الملائكة تخدمه*"[٢٥]. حيث إنه كان مختلفاً عنهم وهم يسجدون له ليس لكونه أعظم منهم في المجد، بل لأنه مختلف تمامًا عن جميع المخلوقات بما فيهم أولئك الملائكة، لأنه بحسب الجوهر هو الابن الوحيد الذاتى للآب. فلو كانوا يسجدون له لمجرد أنه متفوق في المجد لكان من الواجب على كل كائن من الكائنات الأدنى أن يسجد للأسمى منه. لكن ليس الأمر هكذا، لأن المخلوق لا يعبد مخلوقًا آخر، بل أن العبد يعبد الرب، والمخلوق يعبد الله. لذا فعندما أراد كرنيليوس أن يسجد لبطرس، منعه الرسول بطرس قائلاً: " *أنا أيضًا إنسان*"[٢٦]. وعندما أراد يوحنا أن يسجد للملاك في الرؤيا منعه الملاك قائلاً: " *انظر لا تفعل فإنى عبد معك ومع اخوتك الأنبياء ومع الذين يحفظون أقوال هذا الكتاب. اسجد لله*"[٢٧]. وتبعًا لذلك فإن السجود يكون لله وحده، وقد عرف الملائكة أنفسهم هذا رغم أنهم يفوقون غيرهم في المجد. فهم جميعًا مخلوقات وليسوا من الذين يُسجد لهم، بل هم من بين الذين يسجدون للرب. فعندما أراد منوح أبو شمشون أن يقدم ذبيحة للملاك، منعه الملاك قائلاً: " *لا تقدم لى بل لله*"[٢٨]. أما الرب فإنه يُسجد له من الملائكة لأنه مكتوب: " *فلتسجد له* جميع

[٢٣] مز ٢:٧.
[٢٤] مت٣:١٧.
[٢٥] مت٤:١١.
[٢٦] أع١٠:٢٦.
[٢٧] رؤ٢٢:٩.
[٢٨] قض١٣:١٦.

ملائكة الله"[٢٩].ومن كل الأمم، كما يقول إشعياء: "*مصر تعبت لأجلك، وتجار الأثيوبيين، ورجال سبأ طوال القامة إليك يعبرون، وسيكونون عبيدًا لك*"، ثم يقول: "*ولك يسجدون وإليك يتضرعون قائلين فيك وحدك الله. لا يوجد إله سواك يارب*"[٣٠]. وعندما سجد له التلاميذ قَبِلَ منهم السجود وأخبرهم من يكون هو قائلاً: "*أنتم تدعونني ربًا ومعلمًا وحسنًا تقولون لأني أنا كذلك*"[٣١]، وحينما قال له توما: "*ربي وإلهي*"[٣٢]، سمح له بهذا القول، وبالأحرى قَبِلَه ولم يمنعه. لأنه كما يقول سائر الأنبياء، وكما يترنم داود: "*هو رب القوات*"[٣٣]، و"*رب الصاباؤوت*" الذي تفسيره "*رب الجنود*" وهو إله حق ضابط الكلّ حتى ولو مزق الآريوسيون ثيابهم بسبب هذا.

٢٤ ــ فهو ما كان ليُسجد له، أو تُقال عنه تلك الأقوال لو أنه كان من بين المخلوقات. ولكنه الآن حيث إنه ليس بمخلوق، بل هو المولود الذاتي لجوهر الله المعبود، وهو ابنه بالطبيعة، لذلك فإنه يُسجد له ويُؤمَن به أنه إله وأنه رب الجنود وله السلطان، وهو ضابط الكل مثل الآب، لأنه هو نفسه قد قال: "*كل ما للآب فهو لي*"[٣٤]. لأنه من خاصية الابن أن يكون له ما للآب، وأن يكون هكذا حتى أن الآب يُرى فيه، وأن جميع الأشياء تصير به، وأن خلاص الكل به يتم وفيه يتحقق.

---

[٢٩] مز٧٦: ٧، عب١: ٦.

[٣٠] إش٤٥: ١٤ سبعينية.

[٣١] يو١٣: ١٣.

[٣٢] يو٢٠: ٢٨.

[٣٣] مز٢٣: ١٠.

[٣٤] يو١٦: ١٥.

الفصل السابع عشر

مقدمة لشرح أمثال٨:٢٢
" الرب قنانى أول طرقه "
تابع : أن الابن ليس مخلوقا

وجيد هنا أن نسألهم هذا السؤال أيضًا لكى يكون دحض هرطقتهم أكثر وضوحًا.

رغم أن " كل الأشياء " مخلوقة، وأصلها كلها من العدم وحتى الابن أيضًا ـــ حسب فكرهم ـــ مخلوق ومصنوع، وهو واحد من الأشياء التى لم تكن موجودة قط. فلماذا نجد في نفس الوقت، أنه هو ذاته قد صُنعت به كل الأشياء، " *وبغيره لم يكن شئ مما كان*"[1]؟ أو لماذا، حينما يكون الحديث عن "كل الأشياء" لا يفهم أحد أن الابن محسوب بين كل الأشياء، وإنما يُفهم أن المقصود هو المخلوقات فقط؟ في حين أنه عندما تتحدث الكتب المقدسة عن **الكلمة**، فهى لا تعنى أنه معدود بين "كل المخلوقات"، بل تضعه مع الآب، إذ أن الآب يعمل ويحقق به العناية والخلاص للكل. فحسب فكرهم فإن نفس كلمة الأمر التى بها قد صارت كل الأشياء يمكن أن يوجد بها الابن أيضًا من الله وحده. ولكننا نقول إن الله لا يتعب من إصدار الأوامر ولا يضعف من خلق الأشياء كلها حتى يخلق الابن وحده فقط (كما يقولون)، وحتى بحسب احتياجه إليه كخادم ومعين لأجل خلق الأشياء الأخرى. لأن الله لا ولن يؤجل شيئًا مما يريده أن يصير، بل إنه فقط قد شاء،

---

[1] يو ١:٣.

وكما شاء صار الكل في الحال، ولأن أحد لا يستطيع أن " *يقاوم مشيئته*"[٢].

إذن، لماذا لم توجد كل الأشياء إلاّ بأمر الله، ذلك الأمر الذي به قد وُجِدَ الابن أيضًا (حسب فكرهم) أو فليقولوا: لماذا قد صارت به كل الأشياء بالرغم من أنه هو أيضًا صائر؟ فيالحماقتهم عندما يقولون عنه: " إن الله عندما أراد أن يُوجد طبيعة مخلوقة، ورأى عدم قدرتها على احتمال لمسة يد الآب الشديدة، فإنه يصنع ويخلق أولاً واحدًا مفردًا فقط، ويسمّيه ابنًا وكلمة، كى عن طريقه كوسيط، يُوجد به كل الأشياء أيضًا". وهم لا يقولون هذا وحسب، بل أيضًا تجاسروا وكتبوا بيد كل من يوسيبيوس وآريوس وأستيريوس مقدم الذبائح (للأوثان).

٢٥ ــ أليس هذا برهان كافٍ على الكفر الذى مزجوا أنفسهم به بجنون متناه، وهم لا يستحون هكذا من أن يهذوا كالسكارى ضد الحق؟ لأنهم إن كانوا يؤكدون أن الله قد صنع الابن فقط بسبب أنه تعب من خلق كل الأشياء الأخرى، فإن كل الخليقة ستصرخ[٣] هازئة بهم باعتبار أنهم يقولون أشياء غير لائقة بالله. أما إشعياء فقد كتب قائلاً: " *الله الأبدى الذي صاغ أطراف الأرض لا يجوع ولا يكل. وليس هناك فحص لفهمه*"[٤]. أما إن كانوا يقولون إن الله يستنكف أن يخلق الأشياء الأخرى، لهذا فقد صنع الابن فقط، وسلّم خلقة الأشياء

---

[٢] انظر رو٩:١٩.

[٣] استخدم القديس أثناسيوس فعل "تصرخ" لوصف شهادة الخليقة على عظمة عمل الله فيها. انظر ضد الوثنيين فصول١/٤، ٣/٢٧، ٤/٣٤، "تجسد الكلمة"، المرجع السابق ٢/٣٢.

[٤] إش٤٠: ٢٨ سبعينية.

الأخرى للابن كمساعد، فإن هذا يكون غير لائق بالله لأن ليس عند الله كبرياء. وهؤلاء يخجلهم الرب الذى في السموات عندما يقول: " *أليس عصفوران يباعان بدرهم؟ وواحد منها لا يسقط على الأرض بدون إذن أبيكم*"[٥]؟ ويقول أيضًا: " *لا تهتموا لحياتكم ماذا ستأكلون وماذا ستشربون. ولا لأجسادكم ماذا ستلبسون أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللُباس. تأملوا طيور السماء. إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن وأبوكم السماوى يقوتها. ألستم أنتم بالحرى أفضل منها؟ ومن منكم إذا اهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعًا واحدة؟ ولماذا تهتمون باللباس؟ تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو، وهي لا تتعب ولا تغزل. ولكن أقول لكم إنه ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها. فإن كان عشب الحقل الذي يوجد اليوم ويُطرح غدًا في الأتون، يُلبسه الله هكذا، أفليس بالحرى جدًا يُلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان*"[٦].

فإن لم يكن من غير اللائق بالله أن يعتنى بأصغر الأشياء إلى هذه الدرجة، مثل شعرة الرأس والعصفور، وعشب الحقل فإنه لا يكون من غير اللائق أن يخلق هذه الأشياء لأن الأشياء التى هى موضع عنايته، هى نفسها التى يكون هو خالقها **بكلمته** الذاتى. فإما أن تكون كل الأشياء ومعها الابن قد خُلقت من الآب، والذين يقولون هكذا يواجهون سخافة وبطلانًا شديدين، لأنهم لا يفرّقون بين المخلوقات وبين عمل الخلق، ويعتبرون أن الخلق هو عمل الآب، بينما يعتبرون

---

[٥] مت١٠: ٢٩.

[٦] مت٦: ٢٥ـــ٣٠.

الأعمال (المخلوقات) أنها عمل الابن، وإما إن كانت كل المخلوقات قد خُلقت بالابن ـــ فينبغى ألاّ يُقال إن الابن واحد من بين المخلوقات.

٢٦ ـــ ومن ثمَّ يكون من الممكن دحض حماقاتهم هكذا: فحتى لو كانت طبيعة **الكلمة** مخلوقة، فطالما يستحيل على هذه الطبيعة أن تُخلَق مباشرة من الله، فكيف استطاع الابن وحده من بين جميع المخلوقات أن يُخلَق من جوهر الله غير المخلوق والفائق النقاء كما تقولون أنتم؟ فالضرورة تقتضى أنه إن كان **الكلمة** يستطيع ذلك فكل الطبيعة المخلوقة تستطيع ذلك أيضًا. ولكن إذا لم يكن هذا فى استطاعة كل الطبيعة المخلوقة، فإن **الكلمة** نفسه أيضًا لا يستطيع ذلك لأنه ـــ حسب فكركم ـــ هو واحد من بين المخلوقات.

ومرة أخرى إن كانت الطبيعة بسبب عدم قدرتها أن تحتمل فعل الخلق المباشر من الله، احتاجت إلى وجود وسيط، **فالكلمة** أيضًا لكونه مخلوقًا ومصنوعًا (حسب قولكم) فإنه يكون هو نفسه فى حاجة إلى وسيط لخلقه بسبب كونه واحدًا من الطبيعة المخلوقة التى لا تستطيع أن تحتمل فعل الله، بل يحتاج إلى وسيط. وحتى لو وُجد هناك وسيط **للكلمة** فستكون هناك حاجة مرة أخرى لوسيط آخر لهذا الوسيط وهكذا باستمرار البحث والتنقيب سنجد حشدًا عارمًا من الوسطاء، وبذلك يكون من المستحيل أن تقوم للخليقة قائمة. إذ انها ستحتاج دائمًا إلى وسيط، وهذا الوسيط لن يستطيع أن يُوجَد بغير وسيط آخر لأنهم جميعًا من طبيعة مخلوقة وهي التى لا تستطيع ـــ كما تقولون أنتم ـــ أن تحتمل فعل الخلق الذى هو عمل الله وحده.

إذن، ما أكثر حماقاتهم التى تجعلهم يعتبرون الأشياء التى وُجدت أنها لا يمكن أن تُوجد. أو ربما يتصورون أنها لم تكن قد وُجدت ماداموا لا يزالون يطلبون وسيطًا. لأنهم بحسب كفرهم وفكرهم الغبى لا يكون ممكنًا بالكائنات أن تُوجَد حيث إنها لا تجد الوسيط.

٢٧ ــ ولكنهم أيضًا يدّعون قائلين: " هوذا بواسطة موسى قد أخرج الله الشعب من مصر، وبواسطته أعطى الشريعة بالرغم من كونه إنسانًا، حتى يكون ممكنًا أن تصير الأشياء المماثلة بواسطة ما يماثها". فكان ينبغى وهم يقولون هذا أن يخفوا وجوههم من الخجل الشديد، فإن موسى لم يُرسَل لكي يَخلق ولا لكى يَدعو إلى الوجود تلك الأشياء التى لم تكن موجودة.

من أجل ذلك، ففيما يخص الخلق، لا يوجد من يقوم به سوى **كلمة** الله فقط، لأن "*كل الأشياء قد صُنعت بالحكمة*"[٧]، و"*بغير **الكلمة** لم يكن شئ مما كان*"[٨]. أما فيما يخص الخدمة، فليس هناك واحد فقط، بل يوجد كثيرون يستطيع الرب أن يرسلهم متى أراد، فهناك كثيرون من رؤساء الملائكة وكثيرون هم العروش والسلاطين والسيادات، "*ألوف وربوات ربوات يقدمون له الخدمة*"[٩]، وهم على استعداد أن يُرسلوا. وهناك أنبياء كثيرون واثنى عشر رسولاً وبولس، بل وموسى أيضا لم يكن وحده بل كان معه هارون أيضًا، وبعد ذلك كان

---

٧ مز ١٠٤: ٢٤.

٨ يو ١: ٣.

٩ انظر دا ٧: ١٠.

معه " *سبعون آخرون امتلأوا بالروح القدس*"[١٠]. وموسى خَلَفَه يشوع ابن نون، وهذا خَلَفَه القضاة، وهؤلاء لم يخلفهم واحد بل كثيرون.

فلو كان الابن إذن مخلوقًا، وواحدًا من المخلوقات لكان من اللازم أن يكون هناك أنبياء كثيرون مثله، لكى يكون لله أيضًا خدام كثيرون من هؤلاء، كما أن له جمعًا غفيرًا من أولئك الآخرين. وإن لم يكن في الإمكان أن يرى أحد هذا الرأى، فإن **الكلمة** واحد، لكن المخلوقات كثيرة. من هؤلاء لا يُفهم أن الابن يتميز على الجميع، وليس له أى وجه شبه بالمخلوقات، بل هو من ذات الآب. من أجل ذلك فلا يوجد عدد كثير من الكلمات، بل هناك **كلمة** واحد للآب الواحد، وصورة واحدة للإله الواحد. وهم يقولون: " ها هى شمس واحدة فقط وأرض واحدة". يا لهم من حمقى! فليقولوا أيضًا إن الماء واحد والنار واحدة، لكى نجيبهم بقولنا إن كل مخلوق بين المخلوقات هو واحد بحسب جوهره الخاص. أما من جهة الخدمة والعمل الموكلين إليه فليس كل مخلوق بمفرده كفءً ولا كافيًا، لأن الله قال: " *لتكن أنوار في جَلَد السماء لتضيئ على الأرض، ولتفصل بين النهار والليل ولتكن لآيات وأوقات وأيام وسنين*"[١١]. ثم قال: " *فصنع الله النورين العظيمين، النور الكبيرلحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل. والنجوم ثبتها في جَلَد السماء لتضيئ على الأرض فتحكم النهار والليل*"[١٢].

---

[١٠] عد١١:٢٥.

[١١] تك١:١٤.

[١٢] تك١:١٦ـــ١٨.

٢٨ ــ ها هى كواكب كثيرة: وليس فقط الشمس وحدها ولا القمر وحده، بل كل منهما واحد بحسب جوهره، إلاّ أن خدمة الكل واحدة ومشتركة وما ينقص الواحد يكمّله الآخر. وهكذا يشترك الكل في سد الحاجة إلى النور. فالشمس لديها السلطان أن تظهر في فترة النهار فقط، والقمر خلال الليل، أما النجوم فيتم بها مع الشمس والقمر الفصول والسنين، فتكون لآيات[١٣] حسب الاحتياج المطلوب من كل منها. والأرض أيضًا ليست لكل شئ، بل للثمار وحدها، ولكى تكون موطئًا للحيوانات التى تمشى عليها. أما الجَلَد فهو الذي يفصل بين مياه ومياه: لكى يكون مكانًا للكواكب. وهكذا كل من النار والماء قد صار مع كل الأشياء الأخرى لأجل تكوين الأجسام. وعمومًا فليس هناك شئ واحد قائمًا بمفرده. بل كل واحد من المخلوقات كما لو كان مع بقية المخلوقات كأعضاء بعضها لبعض، يشكّلون العالم معًا كأنه جسد واحد.

فإن كانوا يفترضون أن الابن أيضًا هكذا، فإنهم يستحقون أن يُرجموا من جميع الناس. لأنهم يظنون أن **الكلمة** جزء من الكل، جزء لا يكفى بدون الأشياء الأخرى أن يقوم بالخدمة المسلّمة له. فإن كان هذا كفر واضح، فدعهم يعترفون أن **الكلمة** ليس معدودًا بين المخلوقات، بل هو **كلمة** الآب الوحيد، الذاتى وهو خالق المخلوقات ولكنهم قالوا عنه: " إنه مخلوق ومعدود بين المخلوقات، وقد تعلّم فن الخلق كما من معلم وفنّى، وهكذا خدم الله الذى علّمه". لأن أستيريوس السفسطائى قد تجاسر على كتبة هذه الأقوال مثلما تعلّم أن ينكر الرب

[١٣] انظر تك١:١٤.

غير مدرك للحماقة التى تترتب عليها. لأنه إن كان الخلق شئ يمكن أن يُكتسب بالتعليم، فليحذروا أيضًا لئلا يقولوا عن الله نفسه أنه ليس خالقًا بالطبيعة بل بالتعليم، فتكون النتيجة أنه يمكن أن يفقد خاصيته كخالق. وعلى ذلك فلو حصل حكمة الله على الخلق بالتعليم، فكيف يكون حكمة إن كان لا يزال فى حاجة إلى دروس؟ وماذا كان حاله قبل التعلم؟ فإن كان ينقصه التعليم فإنه لا يكون حكمة، بل يكون شيئًا فارغًا، وليس حكمة بجوهره، ويكون قد اتخذ اسم الحكمة عن طريق الترقى ويظل هكذا حكمة على مدى الوقت مادام يحتفظ بما قد تعلّمه. فالذى لا يوجد فى طبيعة شخص ما، بل من خلال التعلّم فمن المكن أيضًا أن يُفقد فى وقت ما. ولكن من يقول مثل هذا الكلام عن **كلمة** الله فليس من بين المسيحيين، بل من بين الوثنيين.

٢٩ ــ لأنه إن كان عمل الخلق يمكن اكتسابه بواسطة التعلّم فإن عديمى العقل هؤلاء يقولهم هذا ينسبون الحسد والضعف إلى الله. فمن ناحية ينسبون إليه الحسد لأنه لم يعلّم الخلق لكثيرين، لكى مثلما يوجد كثيرون من الملائكة ورؤساء الملائكة، هكذا يوجد حوله أيضًا خالقون كثيرون. ومن ناحية أخرى ينسبون له الضعف لأنه عجز عن أن يقوم بالخلق وحده، بل احتاج إلى معين أو خادم وذلك بالرغم من البرهنة على أن الطبيعة المخلوقة يمكن أن توجد من الله وحده، إذ هم يقولون إن "الابن مخلوق وقد صار من الله وحده". ولكن الله ليس فى حاجة إلى أحد، حاشا لله. لأنه هو قال: " *إنى ممتلئ*"[١٤]. و**الكلمة** لم يصر خالقًا بل هو صورة الآب وحكمته

[١٤] إش ١ : ١١ سبعينية .

فإنه يعمل أعمال الآب. والآب لم يجعل الابن من أجل عمل المخلوقات، لأنه هوذا رغم وجود الابن يظل الآب عاملاً أيضًا كما يقول الرب نفسه "*أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل*"[15].

فإن كان الابن قد وُجد ــ حسبما تقولون ــ لكى يخلق الأشياء التى جاءت بعده، ومع ذلك يُرى الآب عاملاً حتى بعد وجود الابن، فإن وجود مثل هذا الابن يكون ــ بحسب قولكم ــ لا لزوم له. وإلا فلماذا يبحث الآب عن وسيط عندما شاء لأن يخلقنا كما لو أن مشيئته لم تكن كافية لخلق ما يبدو له حسنًا؟ مع أن الأسفار المقدسة تقول: "*كل ما شاء صنع*"[16] وأيضًا "*من يقاوم مشيئته*"[17]. لو أن مشيئته وحدها كانت كافية لخلق كل الأشياء، فإن مرة أخرى تكون حاجته لوسيط ــ وفقًا لقولكم ــ من نافلة القول. ولذا فإن المثل الذى تضربونه عن موسى وعن الشمس والقمر يتضح أن لا أساس له. وبناء على ذلك فإن هذا القول يلجم ألسنتكم. فإن كان الله ــ حسبما تعتقدون ــ عندما أراد أن يخلق الطبيعة المخلوقة وقد عزم العزم على ذلك ــ خطط أن يخلق الابن أولاً لكى يخلقنا بواسطته، فتأملوا واعتبروا أى قدر من الكفر قد تجاسرتم أن تنطقوا به.

٣٠ ــ فبحسب كلامكم يظهر أولاً أن الابن قد جُعل من أجلنا، ولسنا نحن من أجله، بمعنى أننا لم نُخلق لأجله ولكنه قد صُنع من أجلنا، وبذلك يكون هو مدينًا بالفضل لنا ولسنا نحن المدينين له، كوضع المرأة بالنسبة للرجل.

---

[15] يو ٥ : ١٧

[16] مز ١٣٥ : ٦

[17] رو ٩ : ١٩

فالكتاب يقول: " *لأن الرجل لم يُخلق من أجل المرأة، بل المرأة من أجل الرجل*"[18]. ولذلك إذن " *فإن الرجل هو صورة الله ومجده، أما المرأة فهى مجد الرجل*"[19]. وهكذا فنحن صورة الله، وقد صرنا من أجل مجده، أما الابن فيكون ــ على أساس كلامهم ــ هو صورتنا وأنه وُجِدَ من أجل مجدنا، ونحن قد جُعلنا لكى نُوجد. أما **كلمة** الله ــ حسب اعتقادكم ــ فإنه لم يُجعل لكى يوجد، بل قد جُعل ليكون أداة لأجل وجودنا حتى أننا لم نتكوّن منه بل هو الذى قد تكوّن لأجل وجودنا. أليس الذين يفكرون بهذه الأفكار يفوقون كل جنون وحماقة؟ لأنه لو أن **الكلمة** قد صار من أجل وجودنا فلا يكون سابق علينا سوى الله، لأن الله (فى هذه الحالة) لم يخطط بخصوص وجودنا و**الكلمة** كائن فى داخله، ولكنه خطّط لأجل وجود **كلمته** ــ كما يقولون ــ ونحن فى داخله. فلو كان الأمر كذلك، فلربما لم يكن الآب يريد الابن على وجه الاطلاق، لأنه خلقه ــ حسب قولكم ــ لا لأنه كان يريده بل لأنه كان يريدنا نحن، فقد خلقه من أجلنا، لأنه خطط لوجوده بعد أن خطط لوجودنا معًا.

لذا فإنه حسب أفكار الكافرين يكون الابن الذى خُلق لكى يكون أداة لا لزوم له. لأن الذين كان ينبغى أن يخلقهم كانوا موجودين بالفعل، فإن كان الابن وحده قد صار من الله مباشرة بسبب قدرته على احتمال ذلك، أما نحن فقد صرنا من **الكلمة** بسبب عدم قدرتنا، فلماذا لا يخطط الله بخصوص وجوده أولاً ــ وهو القادر (أى الابن) على احتمال ذلك، بل يخطط بخصوصنا؟ ولماذا لا يفضّل القادر على غير القادرين؟ ولماذا حيث

---

[18] ١ كو ١١ : ٩

[19] ١ كو ١١ : ٧

إنه قد صنعه أولاً، لا يخطط بخصوصه أولاً؟ أما إن كان يخطط بخصوصنا أولاً، فلماذا لا يصنعنا نحن أولاً؟، مادامت مشيئته كفيلة بتكوين الكل؟ بل يخلق ذاك أولاً ومع ذلك فهو يُخطط أولاً بخصوص وجودنا، ويريدنا أولاً قبل الوسيط. وحينما يريد أن يخلقنا ويخطط بخصوصنا فإنه يسمينا مخلوقات. أما هذا الذى يخلقه من أجلنا فيسميه ابنًا ووارثًا ذاتيًا؟ فكان ينبغى بالأحرى أننا نحن الذين من أجلنا قد صنعه، أن يسمينا أبناء. ولكن بلا شك فلأنه هو ابنه فإنه يفكر فيه أولاً ويريده وهو الذى به صنعنا جميعًا. هذه هى إفرزات الهراطقة وتقيؤاتهم.

الفصل الثامن عشر

مقدمة لشرح : أمثال ٨: ٢٢
" الرب قنانى أول طرقه "
تابع : أن الابن ليس مخلوقا

٣١ ـــ لا يجب الصمت عن مبدأ الحق بل فى الواقع ينبغى النطق به بصوت عالى. لأن **كلمة** الله لم يصر من أجلنا بل بالحرى نحن قد صرنا من أجله. وبه خُلِقت الأشياء[1]. وليس بسبب ضعفنا نحن كان هو قويًا وصائرًا من الآب وحده، لكى يخلقنا بواسطته كأداة! حاشا! فالأمر ليس كذلك. لأنه حتى لو لم يستحسن الله أن يخلق المخلوقات، **فالكلمة** مع ذلك كان عند الله وكان الله فيه. وكان فى نفس الوقت من المستحيل أن تكون المخلوقات بغير **الكلمة** لأنها قد صارت به ـــ وهذا هو الصواب. وحيث إن الابن هو **الكلمة** الذى له جوهر الله بالطبيعة، وهو منه وهو فيه كما يقول هو نفسه، لذلك لم يكن ممكنًا أن تصير المخلوقات إلاّ به. لأنه مثلما ينير النور كل شئ بأشعته وبدون إشعاعه ما كان شيء قد أضاء، هكذا أيضًا فإن الله قد خلق كل شئ **بالكلمة** كما بواسطة يد، وبدونه لم يخلق شيئًا.

فعلى سبيل المثال كما ذكر موسى " *قال الله ليكن نور*"[2]، و"*لتتجمع المياه*"[3]، و"*لتنبت الأرض*"[4]، و" لنصنع الانسان"[5]. وترنم

---

[1] كو١: ١٦

[2] تك١: ٣

[3] تك١: ٩

[4] تك١: ١١

أيضًا داود القديس " *هو قال فصارت هو أمر فخُلقت*"[٦]. أما أنه "قال" فليس كما يحدث فى حالة البشر عندما يتكلم المرء يستمع خادم ما وبمجرد علمه برغبة المتكلم يسارع إلى التنفيذ والعمل، لأن هذا يختص بالمخلوقات. أما بالنسبة **للكلمة** فلا يليق أن يفكر أحد هكذا عنه. لأن **كلمة** الله خالق وصانع وهو نفسه مشيئة الآب. من أجل هذا لم يقل الكتاب الإلهى بأن المستمع سمع وأجاب فيما يخص الكيفية التى يريد أن تكون عليها المخلوقات، بل قال الله " *ليكن*" ثم أضاف " *وكان هكذا*"[٧].

لأن ما رآه الله حسنًا وأراده، فعله **الكلمة** وأتمه فى الحال. أما عندما أمر الله آخرين سواء ملائكة أو عندما كلّم موسى، أو عندما أمر إبراهيم، عندئذ فإن الذى استمع أجاب. فقال الواحد " *كيف سأعرف*"[٨]. وقال الآخر: " *أقم آخر*" [٩] وأيضًا " *عندما يسألوننى ما اسمه فماذا سأقول لهم*"[١٠]. وقال الملاك لزكريا " *هكذا يقول الرب*"[١١]. وسأل الملاك الرب " *يارب يا ضابط الكل إلى متى لا ترحم أورشليم*"[١٢]، وكان ينتظر أن يسمع "*كلمات طيبة ومعزيّة*"[١٣]. لأن كل

---

[٥] تك١: ٢٦

[٦] مز٣٣: ٩

[٧] تك١ :٣، ٦، ١١، ١٥

[٨] تك١٥: ٨

[٩] خر٤: ١٣

[١٠] خر٣: ١٣

[١١] زك١: ١٧

[١٢] زك١: ١٢

واحد من هؤلاء يوجد عنده **الكلمة** الوسيط[١٤] وحكمة الله العارف بمشيئة الآب. ولكن عندما يعمل الابن ويخلق لن يكون هناك سؤال وجواب ـــ لأن الآب موجودًا فى **الكلمة** و**الكلمة** فى الآب ـــ بل تكفى المشيئة فيصير العمل. ولفظة "*قال*" هذه كُتبت من أجلنا لكى نعرف مشيئته. ومن ناحية أخرى فعبارة "*كان هكذا*" تشير إلى العمل الذى تم بواسطة **الكلمة** والحكمة، الذى توجد فيه أيضًا مشيئة الآب. ونفس التعبير "*قال الله*" يشير إلى **الكلمة** لأنه يقول "*صنعت كل الأشياء بالحكمة*"[١٥] و"*بكلمة الرب ثُبتت السموات*"[١٦]. و"*رب واحد يسوع المسيح الذى صارت به جميع الأشياء ونحن به*"[١٧].

٣٢ـــ من هذا ندرك أن الآريوسيين لا يحاربوننا من أجل هرطقتهم، بل يستعرضون أنفسهم أمامنا وهم يحاربون الألوهية ذاتها. لأنه إن كان الصوت القائل "*هذا هو ابنى*"[١٨] هو صوتنا لكان اللوم الذى يستحقونه منا قليل. ولكن إن كان الصوت هو صوت الآب والتلاميذ سمعوه، والابن نفسه أيضًا يقول عن ذاته "*قبل كل الجبال ولدنى*"[١٩]،

---

[١٣] زك١: ١٣

[١٤] يقصد القديس أثناسيوس بتعبير "الوسيط" أن كلمة الله قبل تجسده كان هو الذي يعلن مشيئة الله للملائكة والأنبياء كما هو وارد في هذه الفقرة.

[١٥] مز١٠٤: ٢٤

[١٦] مز٣٣: ٦.

[١٧] ١كو٨: ٦

[١٨] مت١٧: ٥

[١٩] أم٨: ٢٥

ألاّ يكونون بهذا يحاربون الله مثل العمالقة الأسطوريين ولسانهم نحو عدم التقوى " سيف ماض" كما يقول المرنم لأنهم لم يخافوا صوت الآب، ولم يحترموا كلمات المخلّص، ولم يطيعوا القديسين، حيث كتب أحدهم " *الذى هو بهاء مجده ورسم جوهره*"[٢٠]. و" *المسيح قوة الله وحكمة الله*"[٢١]، وترنم آخر " *لأن عندك ينبوع الحياة، وبنورك نرى نورًا*"[٢٢]، و " *كلها بحكمة صُنعت*"[٢٣]. ويقول الأنبياء: " *كلمة الرب صارت إلىّ*"[٢٤]. ويقول يوحنا " *فى البدء كان الكلمة*"[٢٥]، ويقول لوقا " *مثلما سلمها إلينا الذين صاروا منذ البدء معاينين وخدامًا للكلمة*"[٢٦]. كما يقول داود أيضًا " *أرسل كلمته فشفاهم*"[٢٧]. وكل هذه الأقوال تفضح الهرطقة الأريوسية فى كل مكان، بل توضح أيضًا أزلية **الكلمة**، وأنه من جوهر الآب وليس غريبًا عنه. لأنه متى رأى أحدهم نورًا بغير إشعاع؟ أو من يجرؤ أن يقول إن " *رسم الجوهر شىء آخر غير الجوهر*"؟ وألاّ يكون قد أُصيب بالجنون بدرجة كبيرة ذلك الذى يفكر أيضًا أن الله فى وقت ما كان بلا **كلمة** وبلا حكمة؟.

لأن الكتاب وضع مثل هذه الأمثلة، ومثل هذه الصور ـ نظرًا لعجز

---

[٢٠] عب١: ٣

[٢١] ١كو١: ٢٤

[٢٢] مز٣٦: ٩

[٢٣] مز١٠٤: ٢٤

[٢٤] أر١: ٤

[٢٥] يو١: ١

[٢٦] لو١: ٢

[٢٧] مز١٠٧: ٢٠

الطبيعة البشرية عن إدراك الله ــ وذلك لكى يمكننا بقدر المستطاع أن نكوّن فكرة ولو طفيفة وباهتة. كما أن الخليقة فيها أمثلة كافية لمعرفة وجود الله وعنايته، "*لأنه بقدر عظمة وجمال المخلوقات، هكذا يرى خالقها بطريق المقايسة*"[٢٨]. ونحن نتعلم من المخلوقات دون أن نطلب منها أن تنطق، بل إذ نسمع الكتب المقدسة فإننا نؤمن، وبرؤيتنا لنظام جميع الأشياء وانسجامها فإننا نعرف أنه هو خالق جميع الكائنات وربها وإلهها. وندرك عنايته المذهلة وسيادته على الكل. وهكذا نفس الحال بالنسبة لألوهية الابن، فإن ما سبق ذكره من أقوال يكفى كشاهد على ألوهيته. فيكون من نافلة القول أو بالأحرى من الجنون أن يشك أحد، ويسأل بطريقة هرطوقية: كيف يمكن أن يكون الابن أزليًا؟ أو كيف يمكن أن يكون من جوهر الآب وليس جزءً منه؟ لأن ما ينتج من شيء يعتبر جزء منه، وما يمكن تقسيمه لا يمكن أن يكون كاملاً[٢٩].

٣٣ــ هذه هى أفكار الهراطقة الشريرة ومغالطاتهم. وبالرغم من أننا سبق أن توصلنا إلى دحض ما فى تعاليمهم من هراء، فإن المعنى الدقيق للآيات والأمثلة التى وضعها الكتاب هى نفسها تدحض مجمل عقيدتهم النكراء. لأننا نرى أن **الكلمة** موجود دائمًا، ووجوده هو من الآب ومن جوهره وليس عنده سابق ولاحق. ونرى أيضًا أن الإشعاع

---

[٢٨] حكمة١٣: ٥

[٢٩] ولهذا يُقال إن جوهر الله مثلث الأقانيم هو جوهر بسيط غير مركب لأن التركيب هو بداية التقسيم وأقانيم الثالوث هي أقانيم كاملة لأن ما يمكن تقسيمه لا يمكن أن يكون كاملاً.

هو من الشمس وهو خاص بها، وأن جوهرها لا يتجزاء ولا ينتقص، بل هو كامل. والإشعاع بالغ حد التمام والكمال بغير أن ينتقص جوهر النور، بل أنه مولود حقيقي منه. وبالمثل نرى أن الابن ليس من خارج الآب، بل هو مولود منه وأن الآب يبقى كاملاً و" رسم جوهره"[30]، كائن دائمٌ ومحتفظًا بمماثلة الآب ومطابقة صورته حتى أن من يراه يرى فيه الجوهر الذى هو رسم له. ومن فاعلية الرسم ندرك ألوهية الجوهر الحقيقية. لأن هذا هو ما علّم به المخلّص نفسه عنما قال: " *الآب الحال فيّ هو يعمل الأعمال التى أعملها*"[31]، و" *أنا والآب واحد*"[32]، و"*أنا فى الآب والآب فيّ*" [33].

لذلك فلندع الهرطقة المحاربة للمسيح تحاول أولاً أن تفصل بين مكونات الأمثلة الموجودة فى المخلوقات، وتقول إن الشمس كانت يومًا بدون إشعاع، أو أن هذا الإشعاع ليس من ذات جوهر النور، أو أنه من ذاته ولكنه ـــ بمنطق التجزئة ـــ يعتبر جزءً من النور. ودع الهرطقة أيضًا تفصل **الكلمة** وتقول إنه غريب عن العقل، أو أنه كان هناك وقت ما لم يكن فيه موجودًا، أو أنه ليس من جوهره الذاتى، أو أنه جزء من العقل قابل للتجزئة. أما بالنسبة إلى "الرسم" و"النور" و"القوة" فدع الهرطقة هكذا تفصلها كما فَعَلت بالنسبة **للكلمة** و"الإشعاع" وعندئذ فلتتخيل بخصوصها كما تشاء. فإن كان مثل هذا

[30] أى من الابن انظر عب١: ٣.

[31] يو١٤: ١٠، ١٢.

[32] يو١٠: ٣٠.

[33] يو١٤: ١٠.

التهور مستحيلاً عليهم فكيف لا يكون من الجنون المطبق أن يقحموا أنفسهم عبثًا فيما هو أسمى من الأشياء المخلوقة وأعلى من طبيعتها، وهم بذلك يحاولون المستحيل؟

٣٤ــ لأنه إن كانت الأشياء المخلوقة والجسدية لها مواليد دون أن تكون أجزاء من الجواهر التى ولدت منها دون أن تتغير طبيعتها ولا تنتقص من جواهر والديها، فكيف لا يكونون قد أصيبوا بالجنون وهم يتصورون وجود التجزئة والتغيير فى إله حقيقى غير جسدى ناسبين الإنقسام إلى إله غير منحول وغير متغير لكى يبلبلوا مسامع البسطاء ويضلوهم عن الحق؟

لأن من ذا الذى يسمع كلمة ابن ولا يتبادر إلى ذهنه أنه من ذات جوهر الآب؟ ومن ــ عندما سمع أثناء تعلمه أصول الإيمان فى المرحلة الأولى أن الله له ابن وأنه قد صنع كل الأشياء بواسطة **كلمته** الذاتى ــ لم يدرك هذا الأمر بنفس الطريقة التى نفهم بها نحن الآن. ومن ــ عند ظهور هرطقة الآريوسيين الشائنة ــ لم يندهش حالما سمع ذلك الكلام الذى يقولونه، حيث إنهم يرددون كلامًا مخالفًا للحق وينفثون تعاليمًا مغايرة لتلك التعاليم التى سبق بذرها منذ البداية؟ لأن ما بُذر منذ البداية فى كل نفس هو أن الله له ابن وهو **الكلمة**، والحكمة، والقوة، وهو صورته وبهاؤه، وتبعًا لهذا فهو كائن دائمًا، وأنه هو من الآب وأنه المماثل، وأنه له أزلية الولادة من الجوهر، ولا توجد هنا أية فكرة عن كونه مخلوقًا أو مصنوعًا. ولكن

" *الانسان العدو بينما الناس نيام*"[٣٤]، زرع زوان تقول إن الابن "مخلوق"، وأنه " كان هناك وقت لم يكن فيه موجودًا"، وأنه " كيف يمكن أن يكون؟". وعندئذ انتشرت هرطقة أعداء المسيح الأثيمة حالاً كالزوان وهى خالية من كل فكر قويم، وصاروا يطوفون مثل لصوص ويتجاسرون ويقولوا: " *كيف يمكن أن يكون الابن كائنا مع الآب على الدوام*؟" لأن الناس يصبحون أبناء من الناس بعد مضى فترة من الزمن، وإذ يبلغ الأب ثلاثين عامًا يبدأ الابن عندئذ ميلاده. وعلى العموم كل ابن انسان لم يكن له وجود قبل أن يولد. ومرة يهمسون: " *كيف يمكن أن يكون الابن كلمة، أو أن يكون الكلمة صورة الله؟* لأن كلمة الناس تتكون من مقاطع وتدل فقط على مشيئة المتكلم، ثم تتوقف وتتلاشى فى الحال؟."

٣٥ ــ إن أولئك إذن ــ كما لو كانوا قد نسوا البراهين التى سبق أن قيلت ضدهم ــ يورّطون أنفسهم ايضًا فى أمور الكفر وعدم الإيمان شاغلين عقولهم بمثل هذه الأفكار. ولكن كلمة الحق تدحضهم هكذا: إن كانوا يجادلون بخصوص انسان ما، فدعهم يفكرون بطريقة بشرّية بخصوص كلمة هذا الانسان وبخصوص ابنه. أما إذا كانوا يفكرون بخصوص الله خالق البشر فدعهم لا يتفكرون بعد فى هذا الأمر بطريقة بشرّية، بل بطبيعة أخرى أعلى من طبيعة البشر. لأنه مثلما يكون الذى يلد، هكذا يكون بالضرورة المولود منه أيضًا. ومثلما يكون "أب الكلمة" هكذا يكون أيضًا كلمته. وعلى هذا فبما أن الانسان

---

[٣٤] مت١٣: ٢٥

يولد فى وقت ما. وحيث إن الإنسان قد وُجد من العدم، لذلك فإن كلمته تتوقف ولا تبقى. أما الله فهو ليس كالإنسان لأن هذا ما قاله الكتاب[٣٥]. لكنه "هو كائن"[٣٦]. وهو الموجود دائمًا، ولهذا فإن **كلمته** أيضًا كائن وأزلى مع الآب مثل إشعاع النور.

وكلمة البشر تتكون من مقاطع وهى لا تحيا ولا تعمل شيئًا، بل تعبر فقط عن قصد المتكلم. وبمجرد أن تخرج من الفم تضيع ولا تظهر بعد حيث إنها لم تكن موجودة إطلاقًا قبل أن ينطق بها، ولذلك فهى لا تحيا ولا تعمل شيئًا. وهى ليست انسانًا إطلاقًا. بل يحدث لها هذا ــ كما سبق أن قلت ــ لأن الانسان الذى ولدها طبيعته نفسها من العدم. أما **كلمة** الله فهو ليس مجرد كلمة منطوقة مثلما قد يقول أحد، ولا هو همس كلمات. وليس "الابن" هو أمر صادر من الله، بل هو كإشعاع النور مولود كامل من كامل. ولهذا فهو الله كما أنه صورة الله. لأنه مكتوب " *وكان الكلمة الله*"[٣٧]. فى حين أن كلام البشر لا يستطيع أن يعمل شيئًا، ولهذا فإن الانسان لا يعمل بواسطة الكلمات، بل بيديه. لأن يديه لهما وجود أما كلمته ليس لها وجود فعّال. لكن كلمة الله يقول الرسول: " ***كلمة*** *الله حىّ وفعّال وأمضى من كل سيف ذى حدّين .وخارق إلى مفرق الروح والنفس والمفاصل والمخاخ ومميّز لأفكار القلب ونياته. ولا توجد خليقة غير ظاهرة أمامه، بل*

---

[٣٥] انظر يهوديت٨: ١٦

[٣٦] انظر خر٣: ١٤

[٣٧] يو١: ١

كل شيء مكشوف وعريان لعينى ذاك الذى نقدم له الحساب"[38]. فهو إذن خالق "*ويغيره لم يكن شيء واحد*"[39]، ولا يمكن أن شيء يكون بدونه.

٣٦ـ فلا ينبغى إذن أن يتسائل أحد: لماذا لا يكون **كلمة** الله مثل كلمتنا نحن؟... لأن الله ليس مثلنا كما سبق القول. بل لا يجب التساؤل: كيف يكون **الكلمة** من الله؟ أو كيف يكون هو إشعاع الله؟، أو كيف يلد الله؟، وما هى طريقة ولادته؟ فإن من يجرؤ على مثل هذه الأقوال يكون مجنونًا. لأن هذا أمر لا يُنطق به، وهو خاص بطبيعة الله، ومعروف له ولابنه فقط لأن من يسأل هكذا يطلب تفسيرًا بالكلام. لأنه يشبه من يسأل " أين الله؟" وكيف يكون الله؟، وما هو نوع طبيعة الآب؟ وكما أن مثل هذه الأسئلة تدل على عدم تقوى، وعلى جهل بالله، هكذا فإنه ليس من اللائق التجاسر بمثل هذه الأقوال عن ميلاد ابن الله، ولا أن يُقاس الله ورحمته بطبيعتنا وعجزنا.

ولا يحق لأحد أن ينحرف بفكرة بعيدًا عن الحق. وإن كان أحد يرتبك وهو يفتش ويبحث فى هذه الأمور، فلا يجب أن ينكر المكتوب. لأنه من الأفضل فى حالة الارتباك أن نصمت ونؤمن، بدلاً من ألاّ نؤمن بسبب هذه الحيرة. ذلك لأن الذى يتحير يستطيع بطريقة ما أن يجد غفرانًا طالما أنه قد هدأ كليًا بعد أن تساءل. أما ذلك الذى ـ بسبب حيرته ـ يفكر فى نفسه تلك الأفكار غير الملائمة، ويتكلم

[38] عب١: ١٢، ١٣

[39] يو١: ٣

عن الله بأمور لا تليق به، فإن إدانته تكون بغير مغفرة بسبب تطاوله.

لأنه فى مثل هذه الارتباكات يمكن للشخص أن يجد بعض الراحة بواسطة الكتب الإلهية حتى أنه من ناحية يمكنه أن يستوعب تلك الأقوال المكتوبة استيعابًا صحيحًا، ومن ناحية أخرى يمكنه أن يتخذ من طريقة الكلام مثالاً له لأنه كما أن ما نقوله هو قولنا ونابع منا وليس عملاً ناتجًا من خارجنا. هكذا بالمثل أيضًا **كلمة** الله هو من ذات الله ونابع منه، وليس مصنوعًا، ومع ذلك فهو ليس مثل كلمة البشر، حيث إنه فى مثل هذه الحالة سنضطر أن نفهم الله كانسان.

لاحظ إذن أن كلام الناس كثير ومختلف ويزول كل يوم بسبب أن الكلام السابق لغيره لا يبقى بل يتلاشى. وهذا يحدث لأن الناطقين بهذا الكلام وأعمالهم زائلة، وأفكارهم تتلاحق وتتابع، وهم ينطقون الكلام وفقًا للأفكار التى يتفكرون بها ويتدارسونها أولاً بأول إلى أن يكون لديهم كلمات كثيرة، ولكن بعد هذه الكلمات الكثيرة لا يتبقى منها شيء إطلاقًا، لأنه بمجرد أن يكف المتكلم عن الكلام فسرعان ما يتلاشى. أما **كلمة** الله فهو واحد، وهو هو نفسه، كما هو مكتوب "***كلمة الله تثبت إلى الأبد***"[٤٠]. دون أن يتغير، وليس هو سابقًا أو لاحقًا لغيره، بل يبقى كما هو على الدوام. لأنه من المناسب، بما أن الله واحد فصورته أيضًا تكون واحدة، **وكلمته** أيضًا واحد، وكذلك أيضًا حكمته واحدة.

[٤٠] مز١١٩: ٨٩

٣٧ــ ولهذا اتعجب أنه طالما أن الله واحد، فكيف يُدخِل هؤلاء صورًا، وحكمات، وكلمات متعددة بحسب بدعهم واختراعاتهم، ويصرون على أن **كلمة** الآب الذاتى بالطبيعة هو غير الابن، وأنه **بالكلمة** قد صنع الابن أيضًا. أما من هو ابن بالحقيقة فيقولون عنه أنه كلمة بالاسم فقط، مثلما قيل لأنه كَرمة، وطريق، وباب، وشجرة حياة. ويتشدقون أيضًا أنه يلقب بالحكمة بالاسم فقط، وأن حكمة الآب هو حقيقة ذاتية أخرى مصاحبة له فى الوجود بغير ولادة. والذى عن طريقه صنع الابن ودعاه حكمة أيضًا بحسب مشاركته فى الحكمة. وهم لا يقتصرون فى هذا على كلمات فقط، بل نجد أن أريوس صنف شعرًا فى كتابه " ثاليا"، واستريوس السفسطائى[٤١] كتب ما سبق أن قلناه هكذا: [لم يقل بولس المبارك أنه كرز بالمسيح قوة الله وحكمة الله، بل " قوة لله وحكمة لله "، بدون أداة تعريف، وكرز أن قوة الله الذاتية شىء آخر، وهى قوة الطبيعة الموجودة معه بغير ولادة، وأنها هى التى وَلَدت المسيح وخلقت العالم كله. وبخصوصها يعلّم فى رسالته إلى أهل رومية ويقول: " لأن أموره غير المنظورة ترى بوضوح منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية وألوهيته "... وكما أنه لا يستطيع أحد أن يقول أن الألوهية المشار إليها هنا هى المسيح، بل هى ذات الآب، كذلك أظن أن قوته السرمدية وألوهيته ليست هى الابن الوحيد الجنس، بل الآب الذى

[٤١] استريوس: ويسمّى أيضًا استريوس الكبادوكى (ق٣ــ٤م) كان هرطوقيًا تلميذًا مثل آريوس للوكيانوس مؤسس مدرسة إنطاكية ومن أوائل من كتب ضد تعاليم القديس أثناسيوس ودفاعه عن ألوهية الابن.

ولده]. ويعلّم أنه توجد قوة أخرى وحكمة أخرى لله، وأنها هى التى تتضح من خلال المسيح. وبعد قليل يعلّم استيريوس نفسه: [إن قوته السرمدية وحكمته التى تعبر عنها التأملات الحقيقية أنها بلا بداية، وانها غير مولودة هى حتمًا واحدة بذاتها. لأنه توجد قوات كثيرة قد خُلِقت واحدة فواحدة بواسطة الله، والتى من بينها المسيح هو البكر والوحيد الجنس، وجميعها ـــ بطريقة مماثلة ـــ تعتمد على من يمتلكها. فجميعها تدعى بحق قواته المخلوقة التى يستخدمها، كما يقول النبى أن الجراد الذى أُرسل من الله بسبب الخطايا البشرية قد سماه الله ليس قوة، بل " قوة عظيمة"[42]. والمطوّب داود فى كثير من مزاميره يحث ليس الملائكة فقط، بل القوات لتسبح الله][43].

٣٨ـــ والآن ألا يكونون مستحقين لكل مقت لمجرد قولهم هذا؟ لأنه إن كان هو ـــ بحسب ما يعتقدون ـــ ليس ابنًا بسبب ولادته من الآب ومن ذات جوهره، بل يسمى كلمة بسبب الأشياء المدركة، ويسمى حكمة بسبب الأشياء التى نالت حكمة، ويسمى قوة بسبب الأشياء التى اكتسبت قوة، فإنه بالتالى ينبغى أن يسمى ابنًا بسبب أولئك الذين نالوا البنوة. وربما حتى وجوده يكون بسبب الأشياء التى لها وجود، وذلك بحسب بدعتهم.

إذن، فمن يكون هو هذا؟ لأنه لن يكون هو واحدًا من هذه الأشياء، حتى لو كانت هذه الأشياء هى أسماء له فقط، وكان له وجود خيالى

---

[42] انظر يوئيل٢: ٢٥

[43] انظر مز١٠٣: ٢١

فحسب، وكانت هذه الاسماء قد أُضيفت عليه بواسطتنا. بل بالحرى فإن هذا يعتبر حماقة شيطانية قصوى، وربما أكثر من ذلك، لأنه يريدون أن يكونوا هم أنفسهم موجودين حتمًا بينما يظنون أن **كلمة** الله هو موجود بالاسم فقط. فكيف لا تكون أقوالهم هذه عبارات متناقضة إذ يقولون إن الحكمة موجودة مع الآب، ولكنهم يرفضون أن يكون هذه الحكمة هى المسيح؟ ويقولون إنه توجد قوات خالقة وحكمات كثيرة، وأن الرب هو واحد من بين هذه، وهم يقارنونه " بالدودة"، و"الجرادة[٤٤]"؟ وأيضًا أليسوا خبثاء إذ أنهم حينما يسمعون منا أن **الكلمة** موجود مع الآب، فإنهم يتذمرون محتجين ويقولون " ألستم بذلك تتحدثون عن اثنين غير مخلوقين؟ " وهم أنفسهم عندما يتحدثون عن "حكمته غير المخلوقة " لا يرون أن الأتهام الباطل الذى يوجهونه ضدنا إنما يتجه ضدهم؟.

فكيف إذن، لا تكون بدعتهم هذه حماقة بالغة أيضًا، وهى التى بمقتضاها يقولون أن " الحكمة غير المخلوقة " الموجودة مع الله هى الله نفسه؟ فإن الذى يشترك فى الوجود، لا يشترك فى الوجود مع نفسه، بل مع شخص ما، مثلما يقول البشيرون عن الرب أنه كان موجودًا مع التلاميذ، بمعنى أنه لم يكن موجودًا مع نفسه، بل مع التلاميذ، إلاّ إذا كانوا يقولون أن الله مركب، أى لديه حكمة مختلطة، أو متممة لجوهره، وهى أيضًا غير مخلوقة مثله وهؤلاء الهراطقة يقدمونها على أنها بديل لخالق الكون، وذلك لكى "يسقطوا عن الابن خاصية الخلق. لأنهم يتلاعبون بكل الأمور لكى لا يفكروا عن الرب باستقامة.

---

[٤٤] راجع فصل ٣٧.

٣٩ ــ فأين وجدوا فى الكتاب الإلهى إطلاقًا، أو ممن سمعوا أنه يوجد **كلمة** آخر غير الابن نفسه، لكى يشكّلوا مثل هذه الأقوال فى مخيلتهم؟ لأنه مكتوب " *أليس كلمتى كنار، وكمطرقة تحطم الصخر*"[٤٥]. وجاء فى سفر الأمثال " *سأعلّمكم كلماتى*"[٤٦]. فإن هذه وصايا وأوامر قد تكلّم بها الله للقديسين عن طريق **كلمته** الذاتى، الوحيد، الحق، والتى بخصوصها يقول المرنم " *منعت قدمىّ عن كل طريق شر لكى أحفظ كلامك*"[٤٧]. وقد أوضح المخلّص أن هذه "الكلمات" هى شيء آخر غيره هو ذاته، وذلك حينما يقول بنفسه " *الكلام الذى أنا كلمتكم به*"[٤٨]. فليسست إذن مثل هذه "الكلمات" مواليد أو أبناء، ولا توجد كلمات خالقة بمثل هذا العدد، ولا صور للإله الواحد بمثل هذا العدد. وليس كثيرون صاروا بشرًا من أجلنا، وليس من بين العدد الكثير واحد صار جسدًا بحسب يوحنا، بل إن يوحنا بشر به **ككلمة** الله الوحيد قائلاً: " *الكلمة صار جسدًا*" و" *كل شيء به كان*"[٤٩].

لهذا فإن شهادة الآب التى تؤكد أن الابن الوحيد، وشهادة القديسين الذين فهموا هذا ويقولون أن **الكلمة** واحد ووحيد الجنس، هذه الكلمات

---

[٤٥] أر٢٣: ٢٩

[٤٦] أم١: ٢٣

[٤٧] مز١١٩: ١٠١

[٤٨] يو٦: ٦٣

[٤٩] يو١: ٤، يو١: ٣

تشير إلى ربنا يسوع المسيح بمفرده وإلى وحدته مع الآب، وأن الأعمال التى قد صارت به إنما تشهد بنفس الأمور لأن " كل الأشياء " المنظورة وغير المنظورة " *به كانت وبغيره لم يكن شيء مما كان*"[50].

إنهم لا يفكرون عن أى شخص أيًا كان، بل هم يصورون لأنفسهم كلمات وحكمات لم يشر الكتاب لا إلى اسمها ولا إلى عملها، بل هم وحدهم الذين يطلقون عليها هذه الاسماء. ويخترعون أفكارًا وظنونًا معادية للمسيح ويسيئون استخدام اسم " **الكلمة** " و" الحكمة". وإذ يصورون لأنفسهم أفكارًا أخرى ينكرون **كلمة** الله الحقيقى وحكمة الآب الحقيقية الفريدة. وهكذا فإن هؤلاء التعساء يسيرون فى إثر خطوات المانويين[51]، ذلك لأنهم وإن كانوا يرون أعمال الله فإنهم ينكرون الإله الكائن الوحيد والحقيقى، ويصورون لأنفسهم إلهًا آخر لا يستطيعون إثباته بأى عمل ولا بأية شهادة من الأقوال الإلهية.

٤٠ــ فإن لم يكن هناك من الأقوال الإلهية حكمة أخرى غير هذا الابن، وإن كنا لم نسمع من الآباء شيئًا مثل هذا، بل هم قد اعترفوا وكتبوا أن الحكمة موجودة أزليًا مع الآب حيث إنها هى وجوده الذاتى وخالقة العالم هذه ــ حسبما يقول الآباء ــ يلزم أن تكون هى الابن نفسه، وهو الموجود مع الآب أزليًا. فهى أيضًا خالقة كما هو مكتوب

---

[50] يو ١: ٣

[51] **المانويين:** هم أتباع بدعة "مانى" الذى كان فيلسوفًا ورسامًا مجوسيًا وقيل أنه أصبح مسيحيًا وعاش وعلّم فى القرن الثالث (٢١٥ــ٢٧٧م)، وتعاليمهم هى خليط من المسيحية والوثنية.

" *صنعت كل الأشياء بالحكمة*"[٥٢]. ولأن استيريوس نفسه ــ كما لو كان قد نسى ما سبق أن كتبه ــ فإنه فيما بعد ــ ودون أن يقصد مثلما فعل قيافا أيضًا ــ وقف ضد اليونانيين، لم يتكلم عن حكمات كثيرة ولم يسمها جرادة[٥٣]، ولكنه أعترف بحكمة واحدة فقط عندما كتب ما يلى: [واحد هو **الكلمة** الإلهى، أما الكائنات العاقلة فهى كثيرة. وواحد هو جوهر الحكمة وطبيعتها، أما الأشياء الحكيمة والحسنة فهى كثيرة] وبعد قليل يقول أيضًا [من هم أولئك الذين يستحقون أن يلقبهم هؤلاء بلقب أبناء الله فهم طبعًا لا يقولون عنهم أنهم كلمات لا أنه توجد حكمات أكثر، فإن هذا غير ممكن إذ أن **الكلمة** واحد. وقد ثبت أن الحكمة واحدة، ولا يمكن أن يوزع "جوهر **الكلمة**" على عدد كثير من الابناء ولا أن يعطى لهم لقب الحكمة].

إذن فليس من المستغرب أبدًا أنه عندما يحارب الآريوسيون ضد الحق فإنهم يصطدمون ببعضهم بعضًا، إذ تتعارض أفكارهم فيما بينها. فأحيانًا يقولون أن الحكمات كثيرة، وأحيانًا أخرى يقولون أن الحكمة واحدة وأحيانًا يوحدون بين الحكمة والجرادة، وأحيانًا أخرى أنها غير موجودة مع الآب وأنها من ذاته. وأحيانًا أخرى أن الآب واحد غير مخلوق. ومرة أخرى يقولون إن حكمته وقوته غير مخلوقتين، وهم يحاربوننا لأننا نقول إن **كلمة** الله كائن دائمًا، بينما هم أنفسم يقولون إن الحكمة كائنة مع الله أزليًا، ويتناسون أقوالهم نفسها. وهكذا يعانون من الدوار فى الأمور ذلك لأنهم اخترعوا ما لا وجود

---

[٥٢] مز ١٠٤: ٢٤

[٥٣] عن هذه التسمية انظر فقرة ٣٧، راجع أيضًا فقرة ٣٨.

له وأنكروا الحكمة الحقيقية، مثلما فعل المانويون الذين ابتدعوا لأنفسهم إلهًا آخر وأنكروا الله الكائن حقيقة.

٤١ـ لكن فلتسمع الهرطقات الأخرى وليسمع المانويون[٥٤] أن أب المسيح هو واحد، وهو رب الخليقة وصانعها **بكلمته** الذاتى. وعلى وجه الخصوص فليسمع أصحاب الجنون الآريوسى أن **كلمة** الله هو واحد، وهو الابن الوحيد والذاتى الحقيقى الذى هو من جوهره، وله وحدة الألوهية مع أبيه بلا انفصال كما قلنا مرارًا وتكرارًا. لأننا تعلّمنا هذا من المخلّص نفسه. ولو لم يكن الأمر كذلك فلماذا يخلق الآب بواسطته ويعلن-نفسه بواسطته للذين يريدهم والذين ينير عليهم؟ أو لماذا يسمّى باسم الابن مع الآب عند اتمام المعمودية؟[٥٥] فإن قالوا أن الآب غير كافٍ بذاته فيكون هذا التعبير كفرًا، أما إن كان كافيًا بذاته (لأنه من الصواب قول هذا) فما هو الاحتياج للابن لخلق العالم أو لإتمام المعمودية المقدسة؟ لأنه أية مشاركة هناك بين المخلوق والخالق؟ ولماذا يحسب المخلوق مع الخالق عند إنجاز كل الأشياء؟ أو لماذا تقولون أن الإيمان بخالق واحد وبمخلوق واحد هو إيمان مسلّم لنا؟ لأنه إن كان الأمر هكذا لكى نتحد نحن بالألوهية فما الحاجة إلى المخلوق؟ أما إن كان هذا بغرض أن نتحد مع الابن ــ وهو مخلوق حسب قولكم، يكون من غير اللازم ــ وفقًا لمعتقداتكم ــ ذكر اسم الابن عند إتمام المعمودية، لأن الله الذى تبناه وجعله ابنًا قادرًا أن

---

[٥٤] انظر الشاهد رقم ٥١ فى هذا الفصل ص٧٩.

[٥٥] انظر مت٢٨: ١٩.

يتبنانا ويجعلنا أبناء. ومن جهة أخرى فإن كان الابن مخلوقًا ــ ولأن طبيعة المخلوقات العاقلة هى واحدة ــ فليس باستطاعة مخلوق أن يقدم معونة لمخلوق آخر، حيث إن الجميع محتاجون لنعمة الله.

لقد تكلمنا فيما سبق عن الآية: " *كل شيء به كان*". وحيث إن سياق الحديث قد جعلنا نتحدث عن المعمودية المقدسة، فمن الضرورى أن نقول ــ كما أعتقد وأؤمن ــ إن اسم الابن يسمى مع الآب ليس ببساطة ولا مصادفة. وذلك ليس لأن الآب غير كافٍ بذاته، بل حيث إن الابن هو **كلمة** الآب وحكمته فإنه موجود دائمًا مع الآب، لأنه هو بهاؤه. لهذا فمن المستحيل عندما يعطى الآب نعمة ألاّ يعطيها بالابن، لأن الابن موجود فى الآب مثلما يوجد الشعاع فى الضوء. وذلك ليس لأن الله معوذ أو ضعيف، بل كأب " *قد أسس الأرض بحكمته*"[٥٦]، وصنع كل الأشياء **بالكلمة** المولود منه، ويختم على المعمودية المقدسة بالابن. وحيث يكون الآب هناك يكون الابن أيضًا، كما أنه حيث يكون النور هناك أيضًا يكون الشعاع. وأى عمل يعمله الآب فإنه يعمله بالابن، ويقول الرب نفسه " ما أرى الآب يصنعه أصنعه أنا ايضًا"[٥٧]. وهكذا أيضًا عندما تُعطى المعمودية فإن من يعمده الآب يعمّده الابن أيضًا، ومن يعمده الابن فهذا يتم بالروح القدس.

وأيضًا عندما تنير الشمس قد يقول شخص أن الشعاع ينير، وذلك لأن النور واحد ولا يمكن أن يتجزأ ولا أن ينفصل الشعاع عنه.

---

[٥٦] أم٣: ١٩

[٥٧] انظر يو٥: ١٩

وهكذا أيضًا حيث يكون الآب أو يُسمّى، وحيث إن الآب يسمّى فى المعمودية، فبالضرورة أن يسمَّى الابن أيضًا معه.

٤٢ ــ ولذلك أيضًا عندما وعد القديسين تكلم هكذا: " *إليه نأتى ــ أنا والآب ــ وعنده نصنع منزلاً*"[٥٨]. وأيضًا " *ولكى يكونوا هم أيضًا واحد فينا.. كما أننى أنا وأنت واحد*"[٥٩]. والنعمة المعطاه هى واحدة، وهى معطاه من الآب بالابن كما يكتب بولس فى كل رسالة " *نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح*"[٦٠]. لأنه يلزم أن يكون النور مع الفجر وأن يُشاهد الشعاع فى نفس الوقت مع نوره الخاص به. واليهود كذلك إذ أنكروا الابن فليس لهم الآب أيضًا، لأنهم تركوا " *ينبوع الحكمة*" كما قال باروخ[٦١] موبخًا إياهم، وأبعدوا عن أنفسهم الحكمة النابعة من هذا الينبوع أى ربنا يسوع المسيح. لأن الرسول يقول: " *المسيح قوة الله وحكمة الله*"[٦٢]. أما هم فكانوا يقولون " *ليس لنا إلا قيصر*"[٦٣]. وقد لقى اليهود ما يستحقونه من عقاب بسبب إنكارهم، فقد تلاشت مدينتهم وأفكارهم معها. أما هؤلاء الآريوسيون فإنهم يخاطرون بفقدان إتمام السر وأعنى به المعمودية. لأنه إن كان إتمام السر يُعطى باسم الآب والابن وهم لا يقرون بأب حقيقى بسبب

---

[٥٨] انظر يو١٤: ٢٣

[٥٩] انظر يو١٧: ٢١ و٢٢

[٦٠] رو١: ٧، ١كو١: ٣، أف١: ٢

[٦١] انظر باروخ ٣: ١٢

[٦٢] ١كو١: ٢٤

[٦٣] يو١٩: ١٥

إنكارهم للابن الذى هو منه، الذى هو مثله فى الجوهر، منكرين الابن الحقيقى ويسمون لأنفسم ابنًا آخر، إذ أنهم يصيغونه فى مخيلتهم على أنه مخلوق من العدم، ألاّ يكون طقس المعمودية الذى يتممونه فارغًا تمامًا وعديم الجدوى، إذ أن له مظهر خارجى، أما فى الحقيقة فإنه ليس له شيء يعين على التقوى؟ لأن الآريوسيين لا يعمّدون باسم الآب والابن، بل باسم خالق ومخلوق، وباسم صانع ومصنوع. ومثلما يختلف المخلوق عن الابن، هكذا فإن تلك المعمودية التى يظنون أنهم تختلف عن الحقيقة رغم أنهم يتظاهرون بأنهم يسمون اسم الآب والابن بسبب كلمات الكتاب. فليس من يقول ببساطة "يارب" هو الذى يُعطى المعمودية، بل هو ذلك الذى مع الاسم الذى يدعوه، عنده أيضًا إيمان مستقيم. لهذا السبب فإن المخلّص لم يأمر فقط بالعماد، بل قال أولاً "*تلمذوا*" ثم بعد ذلك قال "*عمدوا باسم الآب والابن والروح القدس*"[٦٤]، لكى يأتى الإيمان المستقيم من التعليم ومع الإيمان يأتى إتمام المعمودية.

٤٣ ــ وهناك هرطقات أخرى كثيرة[٦٥] تذكر الأسماء فقط، ولكن بدون اعتقاد مستقيم ــ كما سبق أن قيل ــ وبدون إيمان سليم. ولذلك فالمعمودية التى يعطونها عديمة الجدوى وتعوزها التقوى، حتى أن من يعمدونه يتلوث بإلحادهم بدلاً من أن يُفتدى. وهكذا الوثنيون أيضًا

---

[٦٤] مت٢٨: ١٩

[٦٥] يشير القديس أثناسيوس في موضع آخر من كتاباته إلأى هذه الهرطقات ويدعوها أساطيرًا، وذلك في مقابل التعليم الإلهي المستقيم. انظر تجسد الكلمة، المرجع السابق، فصل ١/٣.

فرغم أنهم ينطقون باسم الله بشفاههم، إلا أنهم يرزحون تحت وزر الإلحاد لأنهم لا يعرفون الكائن بالفعل الله الحق أبا ربنا يسوع المسيح. والمانويون أيضًا والفريجيون واتباع الساموساطى، رغم أنهم يستخدمون الأسماء فهم ليسوا أقل هرطقة. وهكذا أيضًا كل الذين يعتقدون بتعاليم آريوس بدورهم فإنهم وإن قرأوا الكتب، أو ذكروا الأسماء إلاّ أنهم هم أنفسهم يسخرون من الذين ينالون المعمودية بواسطتهم. وهم أكثر كفرًا وإلحادًا من الهرطقات الأخرى ويفوقونها قليلاً قليلاً، ويعطونها تبريرًا بهذرهم وثرثرتهم. لأن هذه الهرطقات تكذب على الحق، وذلك إما أنها تخطئ بخصوص جسد الرب زاعمة أن الرب لم يتخذ جسده من مريم، أو أنه لم يحدث له موت إطلاقًا، ولم يصر انسانًا قط، بل أنه ظهر فقط كانسان ولكنه لم يكن انسانًا حقيقيًا، وظهر وكأن له جسدًا دون أن يكون له جسد. وأنه ظهر كانسان كما يبدو فى حلم[٦٦]. أما الآريوسيون فهم يكفرون بالآب ذاته لأنهم يجدّفون على ألوهيته، رغم أنهم يسمعون الكتب تشهد لألوهية الآب فى الابن كصورة له، ويقولون إن هذه الألوهية مخلوقة. وهذا القول "إنه لم يكن كائنًا"، ينقلونه معهم فى كل مكان مثل وحل فى حقيبة، وينفثون هذا القول مثلما تنفث الحيّة سمها. ومن ثم إذن بما أن التعليم النابع منهم يثير الأشمئزاز والمقت، فإنهم فى الحال يصنعون حماية بشرية كدعامة لجيفة هرطقتهم، حتى أن الساذج عندما يراها

---

[٦٦] هذه هى تعاليم بدعة الخياليين: التى ظهرت فى القرن الأول الميلاد وانتشرت فى القرن الثانى الميلادى، والخياليون هم أول من علّم تعاليمًا منحرفة ضد السيد المسيح، قائلين بأن جسده ليس جسدًا حقيقيًا من دم ولحم بل مجرد خيال. وقد كتب ضدهم القديس يوحنا رسائله (انظر ١يو٤: ٢، ٢يو٧).

أو يقبلها وهو خائف مرتعد فإنه لا يدرك الهلاك المميت لأقوالهم الفاحشة وضلالهم. فكيف لا يكون الذين ضلوا بواسطتهم مستحقين للشفقة والرثاء؟ وكيف لا يكون من الصواب ذرف الدمع السخين على هؤلاء؟، لأنهم يخونون منفعتهم الذاتية في سبيل خيال سريع للاستمتاع بملذات يفقدون بها رجاءهم الآتي؟ لأنهم لن يحصلوا على شئ مادام إيمانهم عند معموديتهم كان باسم غير الكائن[٦٧]. وإذا يربطون أنفسهم بالمخلوق فلن ينالوا من المخلوق أية معونة. وإذ يؤمنون بمن هو مختلف عن الآب وغريب عن جوهره، فإنهم لن يتحدوا مع الآب طالما ليس لهم الابن الذاتي النابع منه بالطبيعة، الذي هو في الآب، والآب فيه كما قال هو نفسه [٦٨]. ولكن حيث إن التعساء خُدِعوا من هؤلاء فقد ظلوا هكذا مقفرين وعراة من اللاهوت. لأن الأمور الأرضية الوهمية لن تتبعهم عندما يموتون. لأنهم عندما يرون الرب الذي أنكروه، وهو جالس على عرش أبيه، ويدين الأحياء والأموات. فلن يتمكن أحد منهم أن يلتمس مساعدة أي واحد من أولئك الذين خدعوهم. لأنهم سيبصرون هؤلاء أنفسهم أيضًا وهم يدانون، فيندمون على ما ارتكبوه من إثم وتجديف!

---

[٦٧] أي الذي ليس هو كائنًا أزليًا مع الآب.

[٦٨] انظر يو١٤: ١٠

الفصل التاسع عشر

شرح نصوص : سادسًا:
" الرب قنانى (خلقنى) أول طرقه لأجل أعماله "
أمثال٨: ٢٢

٤٤ ــ لقد سبق أن عالجنا النص الذى جاء فى الأمثال داحضين خرافاتهم الملفّقة الخارجة من قلوبهم، لكى يعرفوا أنه من غير اللائق أن يقولوا إن ابن الله مخلوق، وأن يتعلموا أيضًا أن يقرأوا جيدًا النص الذى جاء فى سفر الأمثال والذى يحمل المعنى المستقيم. لأنه قد كُتب " *الرب قنانى (خلقنى) أول طرقه لأجل أعماله*"[1]. وحيث إنها أمثال وكتبت على شكل مثل للتعبير، فليس من الواجب تفسير أية عبارة بطريقة ارتجالية أو ببساطة هكذا، بل يجب أن نتقصى أولاً عن الشخص ثم ننسب المعنى إليه بورع وتقوى. لأن كل ما يُقال بأمثال لا يُقال بطريقة واضحة، بل يُعلن بطريقة غامضة، مثلما علّم الرب نفسه فى الإنجيل بحسب يوحنا قائلاً: " *قد كلمتكم بهذه الأشياء بأمثال، ولكن تأتى ساعة حين لا أكلمكم فيما بعد بأمثال... بل علانية*"[2]. ولذلك ينبغى كشف معنى القول والتقصى عنه لكونه خفيًا، وألاّ يُفسر ببساطة كما لو كان قد قِيل علانية، لكى لا نضل عن الحقيقة عندما نُسىء الفهم.

إذن، فإن كان المكتوب يشير إلى ملاك أو أى كائن آخر من

---

[1] أم٨: ٢٢

[2] انظر يو١٦: ٢٥



المخلوقات، كما لو قيل عن أى واحد منا نحن المصنوعون. فإنه يمكن أن يُقال " *خلقنى (قنانى)*"، ولكن إن كان الكلام عن حكمة الله الذى به قد خُلقت جميع المخلوقات، فما الذى يجب أن يفهمه الواحد منا سوى أنه عندما يُقال "خَلَقَ" فإنه لا يقصد شئ آخر مُضاد للفظ "وَلَدَ". ولا يحسب الحكمة بين المخلوقات كأننا ننسى أنه هو الخالق والمصوّر أو ننكر الفرق بين الخالق والمخلوقات. ولكن الحكمة لها معنى آخر يبدو مخفياً فى الأمثال، وليس ظاهرًا علانية، وهى التى أوحت إلى القديسين أن ينطقوا بالوحى الإلهى. بينما هى تُعطى فى الأمثال بعد قليل معنى موازيًا لــ " *قنى*"، فتقول بألفاظ أخرى " *أن الحكمة بنت لنفسها بيتاً*"[3]. وواضح أن بيت الحكمة هو جسدنا الذى عندما اتخذه **الكلمة** صار إنسانًا. وقال عنه يوحنا بحق " ***الكلمة** صار جسداً*"[4]. وبواسطة سليمان تقول الحكمة عن ذاتها بإدراك وتبصّر: ليس إننى أنا مخلوق، بل قالت: " *الرب قنانى أول طرقه من أجل أعماله*" دون أن تقول: " إنه قنانى لكى أوجد، وليس لأن لى بداية وميلاد كالمخلوق".

٤٥ ــ لأن **الكلمة** هنا لم يتحدث من خلال سليمان مشيرًا إلى جوهر ألوهيته ولا إلى ميلاده الأزلى والحقيقى من الآب، ولكنه يشير إلى ناسوته وعمل تدبير خلاصنا. ولهذا ــ كما سبق أن قلت ــ فإنه لم يقل إنى "مخلوق" أو "صرت مخلوق"، بل قال فقط "قنى" أو

---

[3] أم٩:١.

[4] يو١:١٤.

"خلق"، بمعنى أن الأشياء الصائرة حيث إنها ذات جوهر مخلوق، فإنها تنتمى إلى المخلوقات، ويُقال عنها إنها تُخلق، وبديهى فإن المخلوق يُخلق، ولكن اللفظة المذكورة "خلق" في الآية السابقة لا تعنى الجوهر أو الولادة إطلاقًا. بل توضح أن شيئًا آخر قد طرأ على ذاك الذى يشير إليه، فليس كل ما يُقال عنه إنه يخلق يكون مخلوقًا بحسب الطبيعة والجوهر.

والكتاب الإلهى يعرّف هذا الفرق عندما يتحدث عن المخلوقات قائلاً: " *امتلأت الأرض بخليقتك*"[٥] و" *الخليقة تئن وتتوجع معًا*"[٦]. ويقول فى الرؤيا " *وماتت ثلث الخلائق الحيّة التى فى البحر التى لها نفوس*"[٧]. ويقول بولس أيضًا "*كل خليقة الله جيدة، ولا يُرفض أى شئ عندما يُؤخذ مع الشكر*"[٨]، أما فى سفر الحكمة فقد كُتب " *بحمتك صوّرت الإنسان كى يسود على الخلائق التى تكونت بك*"[٩]. ولأن هذه خلائق فإنه يقول إنها تُخلق. وهكذا أيضًا يمكننا أن نسمع الرب وهو يقول: " *منذ البدء صنعتهما ذكرًا وأنثى*"[١٠]. أما موسى فقد كتب فى أنشودته " *فاسأل عن الأيام التى كانت قبلك من اليوم الذى خَلَق الله فيه الإنسان على الأرض، ومن أقصاء السماء إلى أقصاها*"[١١]. ويقول

[٥] مز١٠٣: ٢٤ سبعينية.

[٦] رو٨: ١٣.

[٧] رؤ٨: ٩.

[٨] ١تيمو٤: ٤

[٩] حكمة سليمان٩: ٢.

[١٠] مز١٠: ٦.

[١١] تث٤: ٣٢.

بولس فى رسالته إلى أهل كولوسى: " *الذى هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة، فإنه فيه خُلق الكلّ ما فى السموات وما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى سواء كان عروشًا أم سيادات أم رئاسات أم سلاطين. كل الأشياء خُلقت به وله. الذى هو قبل جميع الأشياء*"[١٢].

٤٦ ــ إذن، فتلك الأشياء ذات الجوهر المخلوق بالطبيعة، تُسمّى مخلوقات وتُخلق. وما ذكرناه من آيات الكتاب يكفى لإثبات ذلك. وقد قيلت هنا للتذكير والتنبيه. ولكن الكتاب مملوء بأمثالها. أما عندما يُقال اللفظ "خَلَقَ" فهو لا يُقال عن الجوهر إطلاقاً، ولا يعنى الولادة. فداود يترنم: " *ليُكتب هذا لجيل آخر وشعب عندما يُخلق سيسبح الرب*"[١٣] ويقول أيضًا: " *قلبًا نقيًا اخلق فيّ يا الله*"[١٤]. ويقول بولس فى رسالته إلى أهل أفسس: " *مُبطلاً ناموس الوصايا فى فرائض لكى يخلق الاثنين فى نفسه إنسانًا واحدًا جديدًا*"[١٥]. وأيضًا: " *البسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق*"[١٦].

فإن داود لم يشر إلى أى شعب مخلوق بحسب الجوهر، ولا كان يتضرع لكى يحصل على قلب آخر غير القلب الذى كان له. بل كان يقصد التجديد ونوال الحياة بحسب الله. وبولس أيضًا لم يقصد

---

[١٢] كو١:١٥ــ١٧.

[١٣] مز١٠٢:١٨.

[١٤] مز٥١:١٠.

[١٥] أف٢:١٥.

[١٦] أف٤:٢٤.

شخصين مختلفين مخلوقين فى الرب بحسب الجوهر. ولا كان يوصينا بأن نلبس إنساناً آخر، لكنه دعا الحياة بحسب الفضيلة أنها "الإنسان بحسب الله"، أما الاثنان المخلوقان فى المسيح فيقصد بهما شعبين مُجدّدين به. وهذا مشابه لما يقوله إرميا: " *خلق الله خلاصًا لأجل زرع جديد الذى به سيتجوّل الناس فى أمان*"[17]. وعندما قال هذا لم يقصد أى جوهر خاص بمخلوق، بل هو يتنبأ بالخلاص المتجدد بين البشر، ذلك الخلاص الذى صار بالمسيح لأجلنا. وحيث إن هناك فرقًا بين المخلوقات وبين القول المذكور "خَلَق"[18]، فإن وجدتم الرب يُدعى مخلوقًا فى أى موضع فى الكتاب فاظهروه لنا وحاربونا. أما إن لم يكن قد كُتب فى أى موضع أنه مخلوق سوى ما قاله عن ذاته فى الأمثال " الرب خلَقنى" فاخجلوا إذن من الفرق السابق ذكره.

ومن الآن فصاعدًا لا تستمعوا إلى لفظ " خَلَق" على أن معناه هو "مخلوق"، بل افهموا به الطبيعة البشرية الخاصة بالرب، لأن لهذه الطبيعة خاصية مميزة لها وهى أنها مخلوقة. وكيف لا تكونون ظالمين ما دمتم عندما تسمعون لفظ " خَلَق" من داود ومن بولس لا تفهون به الجوهر والكيان، بل التجديد بينما عندما تسمعون لفظ "خَلَق" من الرب فإنكم تحسبون جوهره فى عداد المخلوقات؟ وأيضًا عندما تسمعون القول: " *الحكمة بنت لنفسها بيتًا وأقامت سبعة أعمدة*"[19] فإنكم

---

[17] إر٣٨:٢٢ سبعينية.

[18] باليونانية (إكتيسى) ἔκτισεν.

[19] أم٩:١.

فإنكم، تفهون بيتًا بمعنى مجازى. أما لفظ " خَلَق" فتقبلونه كما هو[٢٠]، وتحولونه إلى معنى "مخلوق" فكونه هو نفسه خالقًا ليس كافيًا لإقناعكم، وكذلك لم تخشوا كونه هو وحده مولود من الآب الذاتى، بل تحاربون بغير اكتراث كما لو كنتم تسجلون هذه الألفاظ ضده، وتعتبرونه أنه أقل بكثير من البشر .

٤٧ ــ لأن نفس العبارة توضح أيضًا أنه إختراع منكم أن تقولوا إن الرب مخلوق. لأن الرب حيث إنه يعرف جوهره وأنه هو الحكمة وحيد الجنس ومولود الآب وأنه مختلف عن الأشياء الصائرة والمخلوقة بالطبيعة، وأنه محب للبشر فهو يقول الآن: " *الرب خلقنى أول طرقه*" كما لو كان يقول " *الآب هيأ لى جسدًا*"[٢١] وخلقنى للبشر من أجل خلاص الناس. لأنه كما أننا عندما نسمع من يوحنا: " ***الكلمة*** *صار جسدًا*" فإننا لا نفهم من ذلك أن **الكلمة** كله جسد، بل أنه لبس جسدًا صائرًا إنسانًا. وعندما نسمع " *صار المسيح لعنة لأجلنا*"[٢٢]. وأيضًا " *جَعَل الذى لم يعرف خطيئة، خطيئة لأجلنا*"[٢٣]. فأننا لا نفهم من كل هذا أنه هو نفسه قد صار لعنة وخطية، بل تحمل اللعنة الموجهة ضدنا كما قال الرسول: " *افتدانا من اللعنة*"[٢٤]. ومثلما قال

---

[٢٠] أى حرفيًا وليس مجازيًا.

[٢١] انظر عب١٠:٥.

[٢٢] غلا٣:١٣.

[٢٣] ٢كو٥:٢١.

[٢٤] غلا٣:١٣.

إشعياء " *حَمَل خطايانا*"[٢٥]، ومثلما كتب بطرس " *حَمَل خطايانا في جسده على الصليب*"[٢٦]. لهذا فإذا سمعنا في الأمثال لفظ " خلَق" فلا يجب أن نفهم أن **الكلمة** مخلوق بحسب الطبيعة، بل إنه لبس الجسد المخلوق. وأن الله خلَقه من أجلنا و" *هيأ له جسداً مخلوقاً من أجلنا*" كما هو مكتوب[٢٧]، لكي ما نستطيع أن نتجدد ونُؤلّه.

أيها الأغبياء ما الذي خدعكم إذن لكي تقولوا أن الخالق مخلوق؟ أو من أين اشتريتم لأنفسكم هذا الاعتقاد الجديد الذي تتفاخرون به؟ فالأمثال تقول "خلَق" ولكنها لا تقول إن " الابن مخلوق" بل "مولود" ووفقًا لما سبق أن اتضح من تمييز الأسفار المقدسة بين " خلَق" و"مخلوق" فهي تعتبر أن الابن بطبيعته الذاتية هو الحكمة الوحيدة الخالصة وأنه خالق المخلوقات. وحينما تقول الأمثال "خلَق" فهي لا تشير إلى جوهره، بل تؤكد أنه صار أول كل طرقه. وهكذا يكون لفظ " خلَق" متعارضًا من لفظ "مولود"، وما تقوله عنه الأمثال إنه " *أول طرقه*" يتعارض مع كونه **الكلمة** الوحيد الجنس.

٤٨ ـــ لأنه لو كان مولودًا فكيف تسمونه مخلوقًا؟ لأنه لا أحد يقول إنه يَلِد ما يخلقه. ولا أحد يسمي المولود الذاتي مخلوقًا. ومرة أخرى فإن كان هو وحيد الجنس فكيف يصير هو نفسه " *أول الطرق*"؟ لأنه من الضروري أنه إن كان هو نفسه قد خُلِقَ أول كل طرقه فهو لا

---

[٢٥] انظر إش٥٣: ٤.

[٢٦] ١بط٢: ٢٤.

[٢٧] عب١٠: ٥.

يكون بعد موجودًا وحده، بل يكون معه أولئك الذين خُلقوا بعده. فرأوبين الذى كان أول الأبناء لم يكن الوحيد، بل الأول زمنيًا، ولكنه بحسب الطبيعة والقرابة كان واحدًا بين أولئك الذين وُلدوا بعده. إذن فإن كان **الكلمة** هو " أول الطرق " فإنه سيكون مثلما تكون الطرق أيضًا، وتكون هذه الطرق مثلما يكون **الكلمة** أيضًا، حتى إن كان من جهة الزمن، يُخلَق هو الأول بينها. ولأن بداية المدينة هى مثل أجزاء المدينة الأخرى، فإن الأجزاء نفسها تكون مرتبطة ببداية المدينة تمامًا، وتكون كلها مدينة واحدة مثل الأعضاء الكثيرة التى تكّون جسدًا واحدًا. ولا يكون جزء من المدينة صانعًا وجزء آخر مصنوعًا ـــ أى يكون خاضعًا للأول ـــ بل كل المدينة تخضع لحكم ورعاية ذلك الذى قام بصنعها وصياغتها وتشكيلها أيضاً.

. إذن فإن كان الرب أيضًا يُخلَق هكذا أول جميع الأشياء، فمن الضرورى أن يكون هو مع كل الأشياء الأخرى خليقة واحدة. ولا يختلف عن الأشياء الأخرى حتى إن كان هو أول جميع الأشياء. ولا يكون هو رب أجزاء الخليقة الأخرى حتى إن كان هو أقدم منها زمنيًا. بل يكون قد خلقه مثل المخلوقات الأخرى كلمة خالق واحد ورب واحد. وعلى وجه العموم فإن كان هو مخلوقًا فكيف يمكن أن يُخلَق هو وحده باعتباره الأول ليكون بداية الجميع؟ بينما يبدو مما سبق أنه لا يوجد بين المخلوقات ما له طبيعة راسخة وثابتة وله الأولوية فى الوجود. بل كل منها يأخذ وجوده مع بقية المخلوقات حتى لو اختلف عن الأشياء الأخرى فى المجد.. لأن أى نجم من النجوم ولا أى كوكب من الكواكب العظمى يظهر الواحد منها كالأول

والآخر كالثانى، بل إنها دُعيت جميعها إلى الوجود فى يوم واحد وبنفس الأمر[٢٨]. وهكذا تشكلت هيئة ذوات الأربع والطيور والأسماك والحيوانات والنباتات. وهكذا أيضًا قد خُلق جنس البشر على صورة الله. لأنه وإن كان آدم وحده قد خُلق من التراب، إلاّ أنه توجد فيه كل ذرية الجنس البشرى[٢٩].

٤٩ ــ ومن خليقة العالم الظاهرة نعرف بوضوح أن " *أموره غير المنظورة المُدْرَكة بواسطة المصنوعات*"[٣٠]، لا نرى كل واحد منها منفصلاً عن الآخر إذ لا يوجد بينها أول وآخر، بل أنها خُلِقَتْ سويًا بحسب نوعها. لأن الرسول لم يحصِ كل واحد منفصلاً فيقول مثلاً سواء كان ملاكاً أم عرشًا أم سيادة أم سلطانًا، بل إنه أشار إليها كلها معًا بحسب الدرجة بقوله " *سواء ملائكة أو رؤساء ملائكة أو رئاسات*"[٣١]. فإنه هكذا تكون خِلْقة المخلوقات. فكما سبق أن قلت إنه إن كان **الكلمة** مخلوقًا فلم يكن من اللازم أن يكون هو أولها بل يكون مع سائر القوات الأخرى، حتى وإن تفوّق فى المجد عن الآخرين بدرجة أكبر. وهذا ما يمكن أن نجده فى القوات الأخرى لأنها وإن كانت قد خُلِقَتْ كلها فى نفس الوقت ولا يوجد أول أو ثان، إلاّ أنها تختلف بعضها عن بعض فى المجد، فيقف البعض عن اليمين والبعض حول العرش والبعض الآخر عن اليسار، والجميع يسبحون

---

[٢٨] أى الأمر الذى خلقت به جميعها.

[٢٩] انظر أيضًا تجسد الكلمة فصل ١/٦.

[٣٠] انظر رو ٢٠:١.

[٣١] انظر كو ١٦:١.

معًا ويقفون فى خدمة الرب.

إذن فإن كان **الكلمة** مخلوقًا لما كان هو أول الآخرين ولا بدايتهم، أما إن كان قبل الجميع كما هو واقع فعلاً، وهو نفسه وحده أول وابن، فلا يترتب على ذلك أن يكون هو بداية الجميع بحسب الجوهر، لأن أول الجميع يُحسب فى عداد الجميع. وإن كان هو ليس بداية ولا خليقة فإنه يكون واضحًا تمامًا أنه يختلف عن المخلوقات فى الجوهر وأنه مغاير لها. وهو مثال وصورة الله الفريد الحق إذ هو نفسه أيضًا فريد. لذلك فالكتب لم تضعه بين المخلوقات، بل إن داود يوبخ أولئك الذين يتجاسرون أن يفكروا فى أنه واحد من مثل هؤلاء عندما قال: "*من مثلك يارب بين الآلهة*"[٣٢]، وأيضاً " *من يشبه الرب بين أبناء الله*"[٣٣]، أما باروخ فيقول: " *هذا هو إلهنا ولن يُقارن به آخر*"[٣٤]. لأن **الكلمة** يَخلِقْ بينما المخلوقات تُخلَق، وهو **كلمة** جوهر الآب ذاته وحكمته. بينما المخلوقات التى لم تكن موجودة قبلاً قد صُنِعت بواسطة **الكلمة** نفسه.

٥٠ ــ أما تلك الثرثرة التى تدأبون على ترديدها بقولكم إن الابن مخلوق، فهذا أمر غير صحيح بل هو من نسج خيالكم وحده، وقد أدانه سليمان هذا الأمر كثيرًا ما كذّبه. لأنه لم يذكر أن الابن مخلوق، بل هو مولود وهو حكمة الله بقوله " *أسس الله الأرض بالحكمة*"[٣٥]

---

[٣٢] انظر مز ٨:٨٦.

[٣٣] مز ٦:٨٩.

[٣٤] باروخ ٣٦:٣.

[٣٥] أم ١٩:٣.

و" *الحكمة بنت لها بيتًا*"[٣٦]. ومثل هذا القول عندما يُفحص فهو يثبت مدى كفركم، لأنه مكتوب " *الرب خلقنى أول طرقه من أجل أعماله*". فإن كان هو موجودًا قبل الجميع فإنه يقول "خلقنى" ليس لكى أصنع الأعمال بل " من أجل الأعمال"، وإن لم تكن عبارة خلقنى تشير إلى شئ لاحق له فسيبدو هو كلاحق للأعمال حيث إنه عندما خُلِقَ وجد الأعمال التى قد صار من أجلها، قائمة قبله. فلو كان الأمر هكذا فكيف يظل هو موجودًا قبل جميع الأشياء؟ وكيف أن " كل شىء به كان؟" وكيف تتحد فيه كل الأشياء وتتماسك؟ وها أنتم تقولون إن الأعمال التى من أجلها خُلِق وأُرسِل، اتحدت وتماسكت قبله. ولكن حقيقة الأمر ليست هكذا ـــ حاشا! إن فكر الهراطقة كاذب، لأن **كلمة** الله ليس مخلوقاً بل خالقًا. وعندئذ فهو يتكلم بواسطة الأمثال فيقول "خَلَقنى" عندما لبس الجسد المخلوق، وهناك شئ آخر يمكن استنتاجه من نفس اللفظ. لأنه بالرغم من كونه ابناً وله أب هو الله إذ أنه هو مولوده الذاتى، إلاّ أنه يدعو الآب ربًا ليس لأنه كان عبدًا، بل لأنه اتخذ شكل عبد. لأنه من ناحية كان يلزم ـــ لكونه **الكلمة** من الآب ـــ أن يدعو الله أبًا. فهذه هى خاصية الابن تجاه الآب، ومن الناحية الأخرى عندما يأتى لينجز العمل آخذًا صورة عبد فإنه يدعو الآب ربًا. وقد علّم هو نفسه هذ الاختلاف بتمييز حسن عندما قال فى الأناجيل: " *أحمدك أيها الآب*" وبعد ذلك " *رب السماء والأرض*"[٣٧]. لأنه يقول إن الله هو أبوه ولكنه يدعوه رب المخلوقات، إذن يتضح

---

[٣٦] أم٩:١.

[٣٧] مت١١:٢٥.

من هذا بجلاء أنه عندما لبس الجسد المخلوق كان عندئذ يدعو الآب ربًا. وكذلك فى صلاة داود أوضح الروح القدس نفس الاختلاف عندما قال فى المزامير " اعط قوتك لعبدك وخلّص ابن أمتك "[38]. لأن ابن الله الحقيقى بالطبيعة هو شئ وأبناء الأمة الذين هم من طبيعة المخلوقات شئ آخر. لذلك فهو وحده كابن تكون له قوة الآب. أما أبناء الأمة فهم فى حاجة إلى الخلاص.

٥١ ــ فإن كانوا يهذون بسبب أنه سُمى ولدًا، فليعرفوا أن اسحق دُعى ولدًا لابراهيم[39]، وابن الشونمية سُمى ولدًا[40]. وحيث إننا عبيد فمن الصواب إذن أنه عندما صار هو مثلنا، يدعو هو نفسه الآب ربًا كما ندعوه نحن. وقد صنع هذا لمحبته للبشر، لكى نتشجع نحن الذين بحسب الطبيعة عبيد ــ نتشجع بقبولنا روح الابن ــ أن ندعو الآب أبًا بحسب النعمة، وهو رب لنا بحسب الطبيعة. وكما أننا حينما ندعو الرب أبًا لا ننكر عبوديتنا له بحسب الطبيعة لأننا نحن عمله " *وهو صنعنا لا نحن*"[41]، هكذا أيضًا عندما اتخذ الابن شكل عبد وقال " *الرب خلقنى أول طرقه* " فدعهم إذن لا ينكرون أزلية ألوهيته وأنه " *فى البدء كان الكلمة*"، و" *كل شىء به كان*"، و" *به خُلقت كل الأشياء*".

---

[38] مز ٨٦:١٦.

[39] تك ٢١:٨.

[40] ٢مل ٤:١٨.

[41] انظر مز ١٠٠:٣.

الفصل العشرون

شرح نصوص: سادسًا

" الرب قنانى(خلقنى) أول طرقه لأجل أعماله "

أمثال ٨: ٢٢

(تابع)

أما العبارة الواردة فى الأمثال ــ كما سبقت أن قلت ــ فهى لا تشير إلى جوهر **الكلمة**، بل إلى ناسوت **الكلمة**. لأنه إن كان يقول إنه قد خُلِقَ " *لأجل الأعمال*" فإنه لا يريد أن يشير إلى جوهره، بل إلى التدبير الذى صار لأجل أعماله، وهو الأمر الذى يكون تاليًا لوجوده. لأن تلك الأشياء الصائرة والمخلوقة قد صُنِعت أولاً و أساساً من أجل أن تكون وأن تُوجد، وثانيًا أن يكون لهذه الأشياء أن تعمل بما يأمرها به **الكلمة** مثلما يمكن أن يرى مثل هذا الأمر فى جميع الأشياء.

لأن آدم خُلق لا لكى يعمل بل لكى يوجد أولاً كإنسان؛ لأنه بعد ذلك تلقى أمرًا أن يعمل. ونوح خُلق ليس من أجل الفُلك، بل ليوجد أولاً ويصير إنسانًا، لأنه بعد ذلك تلقى أمرًا أن يصنع الفلك. ومن يبحث ويفتش فإنه سيجد نفس الشيء مع كل واحد من المخلوقات. لأن موسى العظيم أيضًا قد كان إنسانًا أولاً وبعد ذلك عُهد إليه بقيادة الشعب. وهكذا هنا أيضًا من الممكن أن نفهم نفس الشيء لأنك ترى أن **الكلمة** لم يُخلق لكى يكون له وجود، بل " ***فى البدء كان الكلمة***"، ولكنه بعد ذلك أُرسل "لأجل الأعمال" وتدبير التجسد لأجل خلاصها لأنه من قبل أن تُخلق "الأعمال" كان الابن كائنًا دائمًا ولم تكن هناك أية حاجة لكى يُخلق، وعندما خُلِقت "الأعمال" وصارت الحاجة ماسّة

بعد ذلك إلى تدبير إصلاحها، عندئذ قدّم **الكلمة** ذاته لكى ينزل ويصير مشابهًا "للأعمال". وهذا ما يوضح لنا معنى لفظ "خَلَقَ"[1]. ولأنه يريد أن يثبت التشابه فإنه يقول مرة أخرى بإشعياء النبى: " *والآن هكذا يقول الرب الذى جبلنى من الرحم لأكون له عبدًا. لأرجع إليه يعقوب وأسرائيل. وسأجمّع إليه وأتمجد أمام الرب*"[2].

٥٢ ــ فأنت ترى هنا أنه لا يُجبَل لكى يُوجَد، بل من أجل تجميع الأسباط التى كانت موجودة قبل أن يُجبَل. فكما أن هناك لفظ "خَلَقَ"[3]، هكذا هنا لفظ "جَبَلَ"[4] ومثلما هناك عبارة من " *أجل الأعمال*"، هكذا هنا عبارة من " أجل التجميع" حتى تبدو لفظتا "خَلَق" و"جَبَل" أنهما تأتيان بعد وجود **الكلمة**. وكما أن الأسباط التى من أجلها جُبِل كانت موجودة قبل أن يُجبل، هكذا يتضح أن "الأعمال" التى من أجلها "خُلِقَ" قد وُجدت أيضًا. وعندما " *كان **الكلمة** فى البدء*" لم تكن "الأعمال" موجودة بعد، كما سبق أن أشرت. وعندما صارت "الأعمال" وأصبحت الحاجة ملّحة، عندئذ قيلت لفظة "خَلَقَ" وكما أن أى إبن فُقدت أملاكه وسبى عبيده بسبب إهمالهم وبسطو الأعداء عليهم، فإن إقتضت الحاجة فربما يرسله أبوه لأستردادها وتجميعها. وعندما يتوجه لهذا الأمر فإنه قد يرتدى رداء مشابهًا لردائهم، ويتشكّل بشكلهم

---

[1] أصلها اليونانى اكتيسى ἔκτισε.

[2] إش٤٩ : ٥ سبعينية.

[3] باليونانية اكتيسى ἔκτισε.

[4] باليونانية إيلاسى ἔπλασε.

كي لا يتعرّف عليه المستولون عليها أنه السيد فيهربوا، وبهذا يتعذر عليه أن ينزل ويكتشف الكنوز التي خبؤها تحت الأرض. وعندئذ إذا سأله أحد، لماذا أنت هكذا، فإنه قد يُجيب قائلاً: " *جبلني أبي هكذا وأعدني لأجل أعماله*". وكأنه بهذا القول لا يعني أنه عبد ولا أنه واحد من أعماله. ولا يتحدث عن بدء ميلاده، بل عن المهمة الموكلة إليه فيما بعد " *من أجل الأعمال*". وبنفس الطريقة أيضًا فإن الرب قد لبس جسدنا، " *وجد في الهيئة كإنسان*"[٥]. فلو أنه سُئل من الذين رأوه وتعجبوا لكان يقول لهم " *الرب خلقني أول طرقه لأجل أعماله*" و" *جبلني لكي أجمع إسرائيل*" وهذا ما يقوله الروح في المزامير " *أقمته على أعمال يديك*"[٦]. وهذا الأمر هو ما يشير به الرب عن ذاته قائلاً: " *أنا أُقِمت ملكًا بواسطته على صهيون جبله المقدس*"[٧]. وكما أنه حينما " *أشرق جسديًا*"[٨] على صهيون لم يكن هذا له بداية وجود أو مُلك، بل لكونه كلمة الله وملكًا أبديًا، فإنه حُسِب مستحقًا من الناحية البشرية أن تشرق مملكته في صهيون أيضًا، لكي بعد أن يفديهم ويفدينا من الخطية المتملكة عليهم، يجعلهم تحت سلطان مملكة أبيه. وهكذا إذ قد أُقيم من أجل الأعمال، فإن هذا ليس من أجل الأشياء التي لم تكن موجودة بعد، بل من أجل الأشياء التي كانت موجودة عندئذ وكانت في حاجة إلى إصلاح.

---

[٥] في٢: ٨

[٦] مز٨: ٦

[٧] مز٢: ٦

[٨] " أشرق جسديًا " هونفس التعبير الوارد في ثيئوطوكية الاثنين (المعرب).

٥٣ ــ إذن فإن الكلمات "خَلَق" و"جَبَل" و"أَقَام" لها نفس المعنى ولا تعنى وجود الابن ولا أن جوهره مخلوق، بل تعنى التجديد الذى صار لأجلنا كعمل خير منه. وبينما كان يقول هذه الكلمات، فإنه كان يعلّم فى نفس الوقت أنه كان كائنًا قبل هذه الأشياء وذلك عندما قال: "*قبل أن يكون ابرهيم أنا كائن*"[٩]. وأيضًا " *هيأ السموات كنت أنا موجودًا هناك معه*"[١٠]. و"*كنت عنده أقوم بتربيتها*"[١١]. وكما كان هو كائن قبل ابراهيم وجاء اسرائيل بعد ابرهيم، فيتضح أنه رغم أنه كان من قبل فإنه جُبل بعد ذلك. والجَبْل[١٢] لا يعنى بداية وجوده، بل يشير إلى تأنسه الذى فيه يجمع أسباط إسرائيل. وهكذا أذن حيث إنه كائن دائمًا مع الآب، فإنه هو خالق الخليقة. وواضح أن أعماله وُجدت بعده. وأن لفظ "خلَق" لا يعنى بداية وجوده بل يُعلن التدبير الذى تم فى الجسد "من أجل الأعمال". لأنه كان من اللازم أن يكون هو مختلفًا عن الأعمال، بل بالحرى يكون هو خالقها، وأن يتكفّل هو نفسه بتجديدها، لكى إذ قد خُلِقَ لأجلنا فإن جميع الأشياء تُخلَق به من جديد.

لأنه عندما قال خلَق أُضيف السبب فى الحال وذكر لفظ "الأعمال"، وذلك لكى يتضح أنه خُلِقَ "من أجل الأعمال". وهذا أمر مألوف فى الكتب الإلهية. لأنه عندما يشير إلى ميلاد **الكلمة** بحسب الجسد يذكر السبب الذى من أجله صار إنسانًا. وحينما يتحدث هو وخدامه

---

[٩] يو٨: ٥٨

[١٠] أم ٨: ٢٧ سبعينية

[١١] أم٨: ٣٠

[١٢] الجبل معناها الصيغة والتشكيل.

بخصوص ألوهيته فإن كل شيء يُقال بألفاظ بسيطة وفكر صاف، ولا يُقال أبدًا بطريقة معقدة. ذلك لأنه هو بهاء الآب، وهو مثل الآب لم يوجد عن طريق أية علة، ولذلك لا يجب أن نبحث عن سبب هذا البهاء، لأنه مكتوب "*فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله*"[13]. ولم يكن هناك تساؤل بصيغة "لماذا" وعندما كُتب "*الكلمة صار جسدًا*" حينئذ ذكر السبب الذى من أجله قد صار إذ ذَكرَ "*وحل فينا*"[14] وعندما يقول الرسول أيضًا: "*الذى إذ كان فى صورة الله*" فإنه لم يذكر السبب إلا عندما أخذ صورة عبد. لأنه حينئذ أشار كنتيجة لذلك قائلاً: "*وضع نفسه حتى الموت موت الصليب*"[15]. ولهذا فقد صار جسدًا متخذاً صورة عبد.

٥٤ ـ وكثيرًا ما تحدث الرب نفسه بأمثال، ولكن عندما كان يشير إلى نفسه كان يقول بطريقة مطلقة: "*أنا فى الآب والآب فىّ*"[16]، و"*أنا والآب واحد*"[17]، "*من رأنى فقد رأى الآب*"[18]، "*أنا هو نور العالم*"[19] و"*أنا هو الحق*"[20]، دون أن يذكر السبب فى كل قول ولا

[13] يو١: ١

[14] يو١: ١٤ نص الآيه فى الأصل يوناني حرفيًا ليس بيننا بل خَيَّم أو سكَّن فينا.

[15] فى٢: ٦ ، ٨

[16] يو١٤: ١٠

[17] يو١٠: ٣٠

[18] يو١٤: ٩

[19] يو٨: ١٢

[20] يو١٤: ٦

التساؤل "لماذا"، لكى لا يبدو تاليًا لتلك الأشياء التى من أجلها صار أيضًا.

لأنه من الضرورى أن يكون السبب قبل مجيئه، والذى بدونه حتى هو نفسه لا يكون ممكنًا أن يصير، فمثلاً بولس " *الرسول المفرز للإنجيل الذى سبق فوعد به بأنبيائه*"[٢١]، كان الإنجيل الذى صار خادمًا له، سابقًا عليه. ويوحنا الذى كان قد عُيِّن لكى يعد الطريق فقد كان الرب سابقًا عليه. أما الرب فلأنه لم يكن له سبب قبله لكى يكون **كلمة** سوى أنه مولود من الآب وحكمته الوحيد، فإنه صار إنسانًا، عندئذ فقط ذُكِرَ السبب الذى كان مزمعًا من أجله أن يلبس الجسد. لأن حاجة البشر تسبق صيرورته إنسانًا، هذه الحاجة التى بدونها ما كان ليرتدى الجسد. إن الحاجة التى بسببها قد صار الرب نفسه إنسانًا هو ما يشير إليه هو نفسه عندما قال: " *قد نزلت من السماء ليس لكى أعمل مشيئتى، بل مشيئة الذى أرسلنى. وهذه هى مشيئة الذى أرسلنى أن كل ما أعطانى لا أتلف منه شيئًا. بل أقيمه فى اليوم الأخير. هذه مشيئة أبى أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير*"[٢٢]. وكما يقول أيضًا " *أنا قد جئت نورًا إلى العالم حتى أن كل من يؤمن بى لا يمكث فى الظلمة*"[٢٣]. ويقول أيضًا: " *لهذا قد وُلِدت أنا لهذا قد جئت إلى العالم لكى أشهد للحق*"[٢٤]. وقد

---

[٢١] انظر رو١: ١، ٢

[٢٢] يو٦: ٣٨ ــ ٤٠

[٢٣] يو١٢: ٤٦

[٢٤] يو١٨: ٣٧

كتب يوحنا: " *لهذا أُظهِر ابن الله لكى ينقض أعمال إبليس*"[٢٥].

٥٥ ــ إذن فقد جاء المخلّص إلى العالم من أجل الشهادة، ولكى يقاسى الموت من أجلنا، ويقيم البشر، وينقض أعمال إبليس، وكان هذا هو سبب حضوره بالجسد. لأنه بغير هذا ما كان للقيامة أن تتحقق لو لم يكن هناك موت. وكيف يكون هناك موت إن لم يكن هناك جسد؟ والرسول نفسه تَعلّم هذا من الرب عندما قال: " *فإذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم اشترك هو أيضًا كذلك فيهما، لكى يبيد بالموت ذلك الذى له سلطان الموت أى ابليس، ولكى يعتق أولئك الذين خوفًا من الموت كانوا جميعًا كل حياتهم تحت العبودية*"[٢٦]. وأيضًا " *فإنه إذا جاء الموت بواسطة الإنسان، بإنسان أيضًا قيامة الأموات*"[٢٧]، وأيضًا لأنه ما كان الناموس عاجزًا عنه إذ كان ضعيفًا بالجسد. فإن الله إذ أرسل ابنه فى شبه جسد الخطية ولأجل الخطيه دان الخطية فى الجسد. لكى يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح"[٢٨]. ويقول يوحنا: " *لأن الله لم يُرسل ابنه إلى العالم لكى يُدين بل ليخلّص العالم*"[٢٩]. والمخلّص أيضًا قد تكلم عن نفسه قائلاً: " *لدينونة أنا قد جئت إلى هذا العالم لكى يبصر الذين لا يبصرون*

---

[٢٥] ١يو٣: ٨

[٢٦] عب٢: ١٤و١٥

[٢٧] ١كو١٥: ٢١

[٢٨] رو٨: ٣ و ٤

[٢٩] يو٣: ١٧

والذين يبصرون يصيرون عميانًا"[٣٠].

إذن فالمخلّص لم يأت لأجل ذاته بل لأجل خلاصنا ولكى يبطل الموت ولكى يدين الخطية، ولكى يعيد أبصار العميان، ولكى يقيم الجميع من بين الأموات. فإن كان قد أتى ليس لأجل لذاته بل لأجلنا فهو إذن لم " يُخلَق"[٣١] لأجل نفسه بل لأجلنا. وإن كان لم يُخلق لأجل ذاته بل لأجلنا فلا يكون هو نفسه مخلوقًا بل هو يقول هذا حيث إنه أرتدى جسدنا. وهذه الفكرة هى ما تعنيه الكتب المقدسة. وهذا هو ما نتعلمه من الرسول لأنه يقول فى رسالته إلى أهل أفسس: " *ونقض حائط السياج المتوسط أى العداوة مبطلاً بجسده ناموس الوصايا فى فرائض. لكى يَخْلق الاثنين في نفسه إنسانًا واحدًا جديدًا، صانعًا سلامًا*"[٣٢]. فلو أن الأثنين خُلِقا فى نفسه ووُجِدا فى جسده، فمن الطبيعى أن كان يلبس الأثنين فى نفسه، فإنه يكون كما لو كان هو نفسه الذى يُخلق. لأن الذين يخلقهم يتحدون به ويكون هو فيهم كما يكونون هم فيه. هكذا إذن فما دام قد خُلِق الأثنان فيه فيكون من الملائم تمامًا أن يقول " *الرب خلقنى*". فلأنه يأخذ على عاتقه ضعفاتنا يُقال عنه أنه يَضعُف رغم أنه هو لا يَضعُف لأنه قوة الله، وقد صار خطية ولعنة من أجلنا، بالرغم من أنه غير خاطئ، ولكنه يقال هذا لأنه حمل خطايانا ولعنتنا. وهكذا إذ قد خُلقنا فيه فيقال أيضًا " *خَلَقنى من أجل الأعمال*" رغم أنه هو غير مخلوق.

---

[٣٠] يو٩: ٣٩

[٣١] أى لم يُخلق بالجسد

[٣٢] أف٢: ١٤ و١٥

٥٦ ــ وبحسب فكر أولئك يعتبر جوهر **الكلمة** مخلوقًا بسبب قوله " *الرب خلقنى*"، وبالتالى لكونه مخلوق فهو لم يُخلق من أجلنا، وإن لم يكن قد خُلِق من أجلنا فنحن لم نُخلق به، وإن لم نُخلق به فلن يكون هو لنا فى داخلنا، بل سيكون من خارجنا كما لو كنا نقبل منه التعليم مثلما نقبله من معلّم. ولو كان الأمر هكذا معنا لما فقدت الخطية سلطانها على الجسد، بل لظلت ملتصقة به وليست بعيدة عنه. غير أن الرسول يعارض تعليم هؤلاء بإعلانه لأهل أفسس قبل ما سبق أن أقتبسنا بقليل قائلاً: " *لأننا نحن عمله مخلوقين فى المسيح يسوع*". فإن كنا قد خُلِقنا فى المسيح فلا يكون هو الذى خلقنا، بل نحن الذين خُلقنا بواسطته. لذا فالقول "خَلَقَ" هو من أجلنا نحن وبسبب احتياجنا. فإن **الكلمة** رغم أنه خالق، احتمل أيضًا لقب المخلوقين. ولم يكن هذا لقبه الخاص. إذ أنه هو **الكلمة**، ولكن اللقب "خَلَق" هو خاص بنا نحن المخلوقين بواسطته.

وأيضًا كما أن الآب كائن دائمًا فإن **كلمته** كائن دائمًا أيضًا، ولأنه كائن دائمًا فهو يقول " *وكنت أنا موضع بهجته، فرحًا فى حضرته كل يوم*"[٣٣] وأيضًا " *أنا فى الآب والآب فىّ*"[٣٤]. هكذا فإنه حينما صار إنسانًا تابعًا لجنسنا البشرى مثلنا، قال " *الرب خلقنى*" لكى يستطيع أن يطرد الخطية بعيدًا عن الجسد بسكناه فيه ولكى نحصل نحن على فكر حر[٣٥].

---

[٣٣] أم٨: ٣٠

[٣٤] يو١٤: ١٠

[٣٥] حر من الخطية.

إذن فماذا كان يناسبه أن يقول عندما صار إنسانًا. أيقول " *فى البدء كنت إنسانًا؟*" ولكن هذا ليس لائقًا به وليس حقيقيًا. وكما أنه لم يكن من الواجب أن يقول هذا القول، فمن المناسب ومما يميز صفات الإنسانية أن يقول "خَلَقَه" و"صَنَعَه". ولهذا يُضاف أيضًا سبب قوله: "خَلَقَ" وهو حاجة "الأعمال". وحيث إنه بذلك السبب فإن هذا السبب بلا شك يعطى المعنى الصحيح تمامًا للفقرة المكتوبة، وخاصة أنه هنا فى لفظ "خَلَقَ" يذكر السبب أى "الأعمال". بينما أنه عندما يشير بصورة مطلقة إلى الميلاد من الآب فإنه يضيف فى الحال: " *قبل كل الجبال وَلَدَنى*"[36]. فهو لم يقل لماذا وُلد مثلما حدث فى عبارة " *خلقنى*" حيث ذكر " *من أجل الأعمال*". بل إنه يقول بصورة مطلقة " *وَلَدَنى*"، كما جاء فى القول: "*فى البدء كان الكلمة*". لأنه حتى وإن لم تكن الأعمال قد خُلِقتْ، إلا أن **كلمة** الله كان كائنًا، " *وكان الكلمة الله*". أما صيرورته إنسانًا فما كانت لتحدث لو لم تكن حاجة البشر هى السبب. فتبعًا لذلك لا يكون الابن مخلوقًا، لأنه لو كان مخلوقًا لما قال " *وَلَدَنى*". لأن المخلوقات هى أعمال الصانع من خارجه، أما المولود فليس من خارجه وليس عملاً، بل هو مولود جوهر الآب الذاتى. لذا فبينما "الأعمال" هى مخلوقات إلا أن **كلمة** الله هو ابن وحيد الجنس.

---

[36] أم٨: ٢٥.

الفصل الحادى والعشرون

شرح نصوص: سادسًا:

" ... أول طرقه لأجل أعماله "

أمثال٨: ٢٢

٥٧ ـــ إن موسى عندما تكلم عن الخليقة لم يقل "فى البدء وُلِد" ولا "فى البدء كان" بل قال: " *فى البدء خلق الله السماء والأرض*"[١] وداود لم يترنم بالقول "*يداك ولدتانى*"، بل " *يداك صنعتانى وأنشأتانى*"[٢]. فهو يقول فى كل مكان "صنع" عن المخلوقات. فى حين يتكلم عن الابن عكس ذلك. فهو لم يقل عن الابن "صَنعتُ" بل "وَلدتُ"[٣]. و"ولدنى" و" *فاض قلبى بكلمة صالحة*"[٤]. فبينما يقول عن الخليقة: " *فى البدء خَلَق*" يقول عن الابن: " *فى البدء كان الكلمة*". وهذا الاختلاف راجع إلى أن المخلوقات قد صُنِعت ولها وجود فى مرحلة زمنية محددة. ولذا فإن ما قيل عنها " *فى البدء خَلَق*" مساو للقول " *منذ البدء خلق*" كما أن الرب إذ قد عرف ما صنع علّم الفريسيين موبخًا إياهم قائلاً: " *إن الذى خلقهما منذ البدء خلقهما ذكرًا وأنثى*"[٥]. لأن المخلوقات أتت إلى الوجود وخُلِقَت من بداية ما، قبل أن يكون هناك أى وجود. وهذا هو ما قصده الروح القدس أيضًا بقوله فى المزامير: " *وأنت يارب*

---

[١] تك١: ١

[٢] مز١١٩: ٧٣

[٣] مز٢: ٧ و ١٠١: ٣

[٤] مز٤٥: ٢ (سبعينية)

[٥] مت١٩: ٤

منذ *البدء أسست الأرض*"[٦]. ويقول أيضًا: " *أذكر جماعتك التى اقتنيتها* منذ *القدم*"[٧]. وواضح أن ما نشأ فى زمن، فإن لحظة خلقه هى بداية وجوده، وأن الله اقتنى الجماعة فى وقت معين. فإن القصد من القول "خَلَقَ" فى عبارة " *فى البدء خَلَقَ*" أنه بدأ يخلق. وموسى نفسه أوضح هذا بعد إتمام عمل كل الأشياء قائلاً: " *وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فى هذا اليوم استراح من أعماله التى بدأ أن يخلقها*"[٨]. إذن فإن المخلوقات قد بدأت أن تُخلَق، أما **كلمة** الله فحيث إنه ليس له بداية وجود فإنه لم يبدأ أن يُوجَد ولا بدأ أن يصير، بل إنه كائن دائمًا.والأعمال لها بداية لصنعها، وبدايتها تسبق صيرورتها فى الوجود أما **الكلمة** فإنه ليس من بين الأشياء التى تصير،بل بالأحرى هو خالق هذه الأشياء التى لها بداية. ووجود المخلوقات يرجع إلى صيرورتها. ومن بداية ما، يبدأ الله بصنع هذه الأشياء بواسطة **الكلمة**، لكى يكون معروفًا أن هذه الأشياء ليس لها وجود قبل أن تصير. أما **الكلمة** فإن وجوده ليس له بداية أخرى سوى فى الآب الذى هو بلا بداية كما يعترفون هم، فالابن أيضًا كائن بلا بداية فى الآب، إذ أنه فى الواقع هو مولود الآب وليس مخلوق بواسطة الآب.

٥٨ ـــ هكذا فإن الكتاب الإلهى يفرّق بين "المولود" وبين "المصنوعات"، ويوضح أن المولود هو ابن ليس مبتدئًا من أية بداية،

---

[٦] مز١٠٢: ٢٥

[٧] مز٧٤: ٢

[٨] تك٢: ٣ سبعينية

بل هو أزلّى. أما الشئ المصنوع فلأنه من عمل الذى صنعه من الخارج، فلهذا يشير إلى أن له بداية خَلْق. ويوحنا عندما كان يعلّم عن ألوهية الابن وهو يعرف الفرق بين اللفظين لم يقل "فى البدء قد صار" أو "فى البدء قد صُنِعَ" بل قال " فى البدء كان **الكلمة**"، ولفظ "كان" يتضمن "المولود" لكى لا يظن أحد أن هناك فرقًا زمنيًا، بل ليؤمنوا أن الابن أزلى وكائن دائمًا. ومع كل هذه البراهين، فكيف لم تستوعبوا أيها الآريوسيون الأقوال التى جاءت فى سفر التثنية وتتجاسرون أن تكفروا بالرب مرة أخرى بقولكم إنه "مصنوع" أو "مخلوق" بينما هو "مولود" ؟وأنتم تزعمون أن "المولود" و "المصنوع" لهما نفس المعنى. ومن هنا ـــ مع ذلك ـــ سيتضح أنكم غير عارفين كما أنكم عديّمى التقوى.لأن القول الأول هو هذا: " *أليس هذا هو أبوك الذى أوجدك وصنعك وخلقك*"[9]. ويقول بعد قليل فى نفس الأنشودة: " *تركت الله الذى ولَدَك ونسيت الله الذى أطعمك*"[10]. وهذه الفكرة غريبة للغاية، فهو لم يقل أولاً ولَدَ لئلا يبدو القول غير مختلف عن "صنع"، ولوَجَدَ هؤلاء مبررًا أن يقولوا إن موسى منذ البدء ذكر أن الله قد قال: " *لنصنع إنسانًا*"[11]، وبعد ذلك قال " تركت الله الذى ولَدَك" كما لو أن الألفاظ غير مختلفة. أى أن "المولود" و "المصنوع" هما نفس الشئ. ولكن بعد أن ذكر لفظى "أوجَدَ" و"صنَعَ" أضاف أخيرًا "ولَدَ" لكى يظهر أن العبارة تحمل تفسيرها فيها. لأن اللفظ

[9] تث٣٢: ٦

[10] تث٣٢: ١٨

[11] تك١: ٢٦

"صَنَع" يشير فى الحقيقة إلى طبيعة البشر. أى أنهم أعمال ومصنوعات. أما لفظ "وَلَدَ" فيوضح محبة الله للبشر التى صارت للناس بعد أن خلقهم. ولأن الناس أظهروا جحودًا لمحبة الله للبشر هذه، لهذا وبّخهم موسى وقال أولاً: "هل تكافئون الرب بهذه الأمور؟" ثم أضاف: " *أليس هذا هو أبوك الذى أوجدك وصنعك وخلقك*"[12]. وقال ثانيًا: " *قدموا الذبائح للشياطين وليس لله لآلهة لم يعرفوها، ودخلت آلهة جديدة وحديثة ولم يعرفها آباؤهم، تركت الله الذى وَلَدك*"[13].

٥٩ ــ فإن الله لم يخلقهم بشرًا فقط بل دعاهم أيضًا أبناء لأنه ولَدَهم. لأن لفظ "وَلَدَ" له معنى هام. لأنه يشير إلى ابن كما قال بواسطة النبى " *وَلدتُ بنينًا ونشأتهم*"[14]. وعمومًا فإن الكتاب عندما يريد أن يشير إلى "ابن" يُعبّر عنه ليس بواسطة اللفظ "خُلِقتُ"، بل حتمًا بواسطة اللفظ "وُلِدتُ". ويتضح هذا من قول يوحنا: " *أعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنون باسمه، الذين وُلِدوا ليس من دم، ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل، بل من الله*"[15]. وهذا النص واضح لأنه حين يذكر عبارة "أن يصيروا" يقول إن هؤلاء أبناؤه ليس بحسب الطبيعة بل بحسب التبنى. ثم يقول "وُلدوا" لأن هؤلاء قد

---

[12] تث٣٢: ٦

[13] تث٣٢: ١٧ و ١٨

[14] إش١: ٢

[15] يو١: ١٢ و ١٣

حصلوا على لقب ابن بالكامل. ولكن الشعب كما يقول النبى تمرد على الذى فعل معه "الخير"[١٦]. فهذه هى محبة الله للبشر أنه بالنسبة لأولئك الذين صنعهم فقد صار لهم أبًا أيضًا بعد ذلك بحسب النعمة. وقد صار لهم أبًا ـ كما قال الرسول ـ عندما حصل الناس المخلوقون على " *روح ابنه فى قلوبهم صارخًا: أبانا أيها الآب*"[١٧]. فهؤلاء هم الذين قبلوا **الكلمة** ونالوا منه سلطانًا أن يصيروا أولاد الله. لأنه لم يكن فى إمكانهم ـ حيث إنهم مخلوقات بالطبيعة ـ أن يصيروا أبناء بأية طريقة أخرى إلاّ بأن يتقبلوا روح الابن الحقيقى حسب الطبيعة. لذا فلكى يحدث هذا فقد "صار **الكلمة** جسدًا" لكى يجعل الإنسان قادرًا على تقبل الألوهية، ويمكن أن نتعلّم هذه الفكرة أيضًا من ملاخى النبى الذى قال: " *ألم يخلقكم إله واحد ؟ أليس لكم أب واحد*"[١٨].وهنا وضع أولاً "خَلَقَ" وثانيًا لفظ "أب" لكى يثبت هو أيضًا أننا كنا منذ البدء مخلوقات بحسب طبيعتنا وأن الله هو خالقنا بواسطة **الكلمة** وبعد ذلك جعلنا أبناء، وهكذا صار الله الخالق هو أبونا أيضًا.

إذن فإن "الآب" هو خاص "بالابن"[١٩] وليس بالخليقة، كما أن "الابن" خاص بالآب. ويتضح من هذا أننا لسنا أبنا بالطبيعة. أما الذى جاء وسطنا فهو ابن بالطبيعة. وأيضًا فإن الله ليس أبانا بالطبيعة، بل

---

[١٦] انظر إش١: ٣

[١٧] غل٤: ٦

[١٨] مل١: ٢ سبعينية

[١٩] أى أن الآب هو أب للابن وليس للخليقة.

هو أب **الكلمة** الموجود فينا والذى به نصرخ "أبانا أيها الآب". وبنفس الطريقة فإنه يدعو الذين يرى ابنه فيهم، أبناء له ويقول: "وَلَدتُ" حيث إن الولادة تدل على الابن حقًا، أما "الصنع" فهو لفظ يدل على "الأعمال". لهذا فإننا نحن لم "نُولد أولاً" بل "صُنعنا" كما هو مكتوب "لنصنع إنسانًا"، وبعد ذلك بواسطة قبولنا نعمة الروح قال: إننا "نُولد". لهذا فإن موسى العظيم قال بمعنى جيد فى أنشودته، أولاً: "أوجد" وبعد ذلك "وَلَدَ"، لئلا عند سماع لفظ "وَلد" ينسون طبيعتهم من البداية، وبهذا يعرفون أنهم من البدء مخلوقات. وعندما يقال إن الناس يولدون كأبناء بالنعمة فإنهم مع ذلك هم أيضًا مصنوعات بالطبيعة.

٦٠ــ إن المخلوق ليس فى الواقع هو "المولود"، بل هما يختلفان أحدهما عن الآخر فى الطبيعة وفى معنى الألفاظ نفسها. والرب نفسه أوضح هذا فى الأمثال. لأنه عندما قال: " *الرب خلقنى أول طرقه*"[٢٠]، أضاف: " *لكنه قبل كل الجبال وَلَدنى*"[٢١]. فإن كان **الكلمة** مخلوق بالطبيعة وبالجوهر، والمولود يختلف عن المخلوق فما كان له أن يضيف "ولدنى" بل لكان قد أكتفى بلفظ "خَلَقَ" مادام هذا اللفظ يعنى أيضًا "وَلَدَ". ولكنه هنا يقول "*خلقنى أول طرقه لأجل أعماله*". وأضاف عبارة "وَلَدنى" ليس عن غير قصد، بل بعد ربطها بأداة الربط "لكن"، بذلك يعطى حماية كافية للفظ "خَلَق" قائلاً: " لكنه قبل كل الجبال ولدنى"، لأن عبارة "وَلَدنى" إذ تأتى مع لفظ "خلق" فإنها

[٢٠] أم٨: ٢٢

[٢١] أم٨: ٢٥

تضفى عليهما معنى معينًا يوضح أن لفظ "خلق" إنما قيل لغرض معين.أما عبارة "ولَدنى" فهى تتخذ وضعًا قبل "خلَق". لأنه لو كان قد قيل بالعكس تمامًا: "الرب ولَدنى" ثم أردف بالقول: "ولكن قبل كل الجبال خلقنى"، لكان لفظ "خلَق" سابقًا على لفظ "ولَد". وهكذا بقوله أولاً "خلَق". وبقوله: "ولدنى قبل الكلّ" يشير إلى أن ذاته هى شئ آخر غير الكلّ. وقد أتضحت الحقيقة فيما سبق من أقوال إنه فيما يتعلق بالمخلوقات لم يصر أى واحد منها قبل غيره، بل إن جميع المخلوقات خُلقَت معًا فى نفس الوقت وبنفس الأمر الوحد. ولهذا فإن لفظ "ولَدَنى" لا يرتبط به ألفاظ مثل التى ترتبط بلفظ "خلَق"، ولكن لفظ "خلَق" يرتبط به "أول طرقه"، أما لفظ "ولَدنى" فلم يقل معه "فى البدء ولَدنى"، بل "قبل الكل ولَدنى"، فهذا الذى هو قبل الكلّ لا يكون أول الكلّ، بل هو شئ آخر غير الكلّ. فإن كان مختلفًا عن كل الأشياء، التى من بينها يعتبر هو أول الجميع، فيتضح من ذلك أنه مختلف عن المخلوقات، ويظهر بوضوح أنه بما أن **الكلمة** مختلف عن الكلّ وكائن قبل الكلّ، فإنه بعد ذلك يُخلَق " *أول طرقه من أجل أعماله*" بسبب التجسد. كما قال الرسول: " *الذى هو البداية، البكر من الأموات لكى يكون هومتقدمًا فى كل شئ*"[٢٢].

٦١ــ وإن كان يوجد هذا الفرق بين "خلَق" و"ولَدنى"، وبين "أول الطرق" و "قبل الكلّ"، فإن الله أولاً هو خالق البشر وقد صار فيما بعد أبًا لهم بسبب **كلمته** الساكن فيهم. والعكس بالنسبة **للكلمة**، إذ أن الله

[٢٢] كو ١: ١٨

هو أبوه بالطبيعة. لكنه صار فيما بعد خالقه وصانعه عندما لبس **الكلمة** الجسد الذ خُلِقَ وصُنِعَ، وصار إنسانًا. لأنه كما أن البشر الذين حصلوا على روح الابن صاروا به أولادً، هكذا **كلمة** الله عندما لبس هو أيضًا جسد البشر، فيقال حينئذ إنه خُلِقَ وصُنِعَ. إذن فلو كنا نحن أبناء بالطبيعة يكون هو أيضًا مخلوقًا ومصنوعًا بالطبيعة. ولكن إن كنا نحن أبناء بالتبنى وبالنعمة فمن الواضح أن **الكلمة** حينما صار إنسانًا بفضل النعمة، قال: "الرب خلّقنى". وبعد ذلك حينما لبس ما هو مخلوق فإنه صار مشابهًا لنا بحسب الجسد، ولهذا فمن الصواب أن يُدعى أيضًا "أخانا" و "بكرنا". لأنه بما أن البشر قد هلكوا بسبب مخالفة آدم، فإن جسده كان أول ما تم تخليصه وتحريره إذ أن هذا الجسد هو جسد **الكلمة** نفسه. وهكذا إذ قد صرنا متحدين بجسده قد خلصنا على مثال جسده وبهذا الجسد صار الرب هو قائدنا إلى ملكوت السموات وإلى أبيه لأنه هو يقول: " *أنا هو الطريق*"[٢٣]. و" *أنا هو الباب*"[٢٤]. ويجب على الجميع " *أن يدخلوا بى*". من أجل ذلك يُدعى "بكر من بين الأموات لا لأنه مات أولاً ــ إذ أننا قد متنا قبله ــ بل لأنه قد أخذ على عاتقه أن يموت لأجلنا، وقد أبطل هذا الموت، فإنه هو الأول الذى قام كإنسان، إذ قد أقام جسد لأجلنا. وتبعًا لذلك حيث إن الجسد قد أُقيم، هكذا نحن أيضًا ننال القيامة من بين الأموات منه وبسببه.

---

[٢٣] يو١٤: ٦

[٢٤] يو١٠: ٧

٦٢ــ وإن سُمى أيضًا " بكر *الخليقة*"[٢٥]، لكنه لم يلقب بكرًا كمساوٍ للمخلوقات، أو أولهم زمنيًا [لأنه كيف يكون هذا وهو نفسه الوحيد الجنس بحق؟]. لأنه بسبب تنازل **الكلمة** إلى المخلوقات فإنه قد صار أخًا لكثيرين. وهو يعتبر "وحيد الجنس" قطعًا إذ أنه وحيد وليس له إخوة آخرون والبكر يسمى بكر بسبب وجود إخوة آخرين. لذلك فلم يُذكر فى أى موضع فى الكتب "بكر الله" ولا "مخلوق الله" بل ذُكر "الوحيد الجنس" و "الابن" و "**الكلمة**" و"الحكمة".

وهذه تشير إلى علاقته الخاصة المتميزة بالآب. وهكذا كُتب " *رأينا مجده مجدًا كما لوحيد من الآب*"[٢٦] و" *أرسل الله ابنه الوحيد*"[٢٧] و" *كلمتك يارب دائم إلى الأبد*"[٢٨] و" *فى البدء كان الكلمة وكان الكلمة عند الله*"[٢٩] و" *المسيح قوة الله وحكمة الله*"[٣٠] و" *هذا هو ابنى الحبيب*"[٣١] و" *أنت هو المسيح ابن الله الحى*"[٣٢].

أما لفظ "البكر" فيشير إلى التنازل إلى الخليقة، لأنه بسببها سُمى بكرًا. ولفظ "خُلِقَ" يشير إلى النعمة "من أجل الأعمال" فإنه يُخلق من أجلها. فإن كان هو "الابن الوحيد" تمامًا مثلما هو فى الحقيقة، فإن لفظ

---

[٢٥] كو١: ١٥

[٢٦] يو١: ١٤

[٢٧] ١يو٤: ٩

[٢٨] مز١١٩: ٨٩ (سبعينية)

[٢٩] يو١: ١

[٣٠] ١كو١: ٢٤

[٣١] مت٣: ١٧

[٣٢] مت١٦: ١٦

بكر تحتاج إلى تفسير، لأنه لو كان "بكرًا" لما كان "وحيدًا" لأنه غير ممكن أن يكون هو نفسه "وحيدًا" و "بكرًا" إلا إذا كان يشير إلى أمرين مختلفين. فهو "الابن الوحيد " بسبب الولادة من الآب، ولكنه يسمى "بكرًا" لسبب التنازل إلى الخليقة وجعله الكثيرين أخوة له. فإن كان اللفظان متعارضان أحدهما مع الآخر، فإن فى إمكان أى شخص أن يقول إن اصطلاح "الوحيد الجنس" متعلق **بالكلمة** وذلك بسبب عدم وجود **كلمة** آخر أو "حكمة" آخر، بل إنه هو وحده ابن الآب الحقيقى. لأنه كما قيل سابقًا فإن اصطلاح وحيد الجنس لم يذكر مرتبطًا بأى سبب، بل ذُكر بصورة مطلقة أنه: " *الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب*"[٣٣]. أما اصطلاح البكر فهو مرتبط بالخليقة التى أشار إليها بولس عندما قال: " *لأنه فيه خُلِق الكلّ*"[٣٤]. فإن كانت كلّ المخلوقات قد خُلِقت بواسطته فإنه يكون مختلفًا عن المخلوقات، ولا يكون مخلوقًا بل هو خالق المخلوقات.

٦٣ـ إذن فهو لم يُدعَ "بكرًا" بسبب كونه من الآب، بل بسبب أن الخليقة قد صارت به. وكما كان الابن نفسه كائنًا قبل الخليقة وهو الذى به قد صارت الخليقة، هكذا أيضًا فإنه قبل أن يُسمى "بكر كل الخليقة" كان هو **الكلمة** ذاته عند الله. ولكن حيث إن الكافرين لم يفهموا هذا صاروا يجولون قائلين: "إن كان هو بكر كل خليقة فمن الواضح أنه هو نفسه أيضًا واحد من الخليقة ". يالهم من حمقى! فإن

---

[٣٣] يو ١: ١٨

[٣٤] كو ١: ١٦

كان هو بكر كل الخليقة جمعاء فهو إذن مغاير لكل الخليقة، لأنه لم يقل إنه كان بكر بقية الخلائق لكى لا يظن أنه مثل واحد من الخلائق، بل قد كتب " بكر كل خليقة " كى يتضح أنه مختلف عن الخليقة. فرأوبين مثلاً لم يُدعَ بكر جميع أولاد يعقوب، بل بكر يعقوب وبكر إخوته، لكى لا يظن أنه شخص آخر ولا ينتمى إلى أولاد يعقوب[٣٥]. أما بخصوص الرب نفسه فلم يقل الرسول: "لكى يصير بكر الجميع"، لكى لا يُظن أنه يلبس جسدًا مختلفًا عن جسدنا، بل قال: "*إنه بكر بين أخوة كثيرين*"[٣٦] وذلك بسبب مشابهة الجسد. فلو كان **الكلمة** واحدًا من بين الخلائق، لكان الكتاب قد قال عنه إنه بكر المخلوقات الأخرى. أما الآن حيث يقول القديسون إنه "بكر كل خليقة" فإنه يتضح العكس تمامًا لأنه غير كلّ الخليقة، وأن ابن الله ليس بمخلوق. لأنه إن كان مخلوقًا فسيكون هو بكرًا بالنسبة لنفسه.

فكيف يكون ممكنًا أيها الآريوسيون أن يكون هو الأول لذاته والثانى بالنسبة لنفسه؟ وبعد ذلك، فإن كان هو مخلوقًا، وكل الخليقة قد صارت به وتتكون فيه، فكيف يستطيع أيضًا أن يخلق الخليقة وأن يكون فى نفس الوقت واحدًا من أولئك الذين خُلِقوا فيه؟ فبدعتهم هذه تظهر منافية للعقل وسقيمة، فهم يحيدون عن الحق، لأنه قد دُعى "بكرًا بين أخوة كثيرين" بسبب علاقة الجسد. وسُمى " *البكر من بين الأموات*" لأن قيامة الموتى تنبع منه وتلى قيامته. وقد دُعى "بكر كل الخليقة" من أجل محبة الآب للبشر التى بسببها، ليس أن الكلّ فقط قد

---

[٣٥] انظر تك٣٥: ٢٣

[٣٦] رو٨: ٢٩

تكون بكلمته، بل إن الخليقة نفسها ـــ التى تحدث عنها الرسول أنها "*تنتظر ظهور أبناء الله*"[٣٧]، هى أيضًا سوف "*تُعتق يومًا من عبودية الفساد إلى حرية مجد ابناء الله*"[٣٨]. وهكذا فبعد أن تتحرر الخليقة فسيكون الرب أيضًا هو بكرها وبكر كل الأولاد المولودين، لكى بتسميته "الأول" فإن الذين يتبعونه يظلون مرتبطين به كبداية لهم.

٦٤ـــ واعتقد أن الكافرين أنفسهم سيخجلون من مثل هذا الرأى، لأنه لو أن الأمر لم يكن هكذا مثلما قلنا، بل هم يريدونه أن يكون ـــ بحسب الجوهر ـــ مخلوقًا بين الخلائق. وبهذا المعنى يفسرون "بكر كل الخليقة"، فدعهم إذن يعترفون أنهم ـــ فى هذه الحالة ـــ سيفهمونه أنه أخ ومشابه للكائنات الغير ناطقة والتى بلا نفس. لأنه الأشياء هى أيضًا أجزاء من كلّ الخليقة، لذلك يكون البكر بالضرورة هو الأول من الناحية الزمنية فقط، أما من ناحية النوع والتشابه فيكون هو والجميع شئ واحد. فكيف إذن لا يفوقون كل كفر عندما يقولون هذا؟ ومن سيحتملهم عندما يتكلمون هكذا؟ وكيف يستطيع أحد ألا يشمئز منهم بسبب أنهم يتفكرون فى مثل هذه الأمور؟

لأنه واضح للجميع أنه دعى "بكر الخليقة" ليس بسبب نفسه كما لو كان مخلوقًا، ولا بسبب أن له علاقة ما من جهة الجوهر مع كل الخليقة، بل لأن **الكلمة** ـــ منذ البدء ـــ عندما خَلَقَ المخلوقات، تنازل إلى مستواها حتى يتيسر لها أن تأتى إلى الوجود. لأن المخلوقات ما

---

[٣٧] رو٨: ١٩

[٣٨] انظر رو٨: ٢١

كان ممكنًا لها أن تحتمل طبيعته ـــ التى هى بهاء الآب الخالص ـــ لو لم يتنازل ويعضدها ويمسك بها ويحضرها إلى الوجود بسبب محبة الآب للبشر. ونكرر أيضًا أنه بنزول **الكلمة**، قد صار به تبنى الخليقة نفسها به، لكى يصير هو بكرها فى كل شئ كما سبق أن قيل، سواء فى الخلق أم فى دخوله إلى العالم نفسه من أجل الكلّ لأنه مكتوب " *ومتى أدخل البكر إلى العالم، يقول ولتسجد له كل ملائكة الله*"[٣٩]. فليسمع أعداء المسيح وليمزقوا أنفسهم بشدة. لأن إدخاله إلى العالم ساهم فى تسميته "بكر" الكلّ، حتى يكون هو ابن الآب الوحيد الجنس بسبب أنه هو الوحيد الذى من الآب، كما أنه "بكر" الخليقة من أجل تبنى الجميع. ولأنه هو بكر بين الأخوة، وقد قام من بين الأموات ليكون هو باكورة الراقدين[٤٠]، لذلك كان من الواجب أن يكون متقدمًا فى كل شئ، لهذا فقد "خُلِق أول الطرق". لكى إذ نتبعه وندخل بواسطته وهو القائل "أنا هو الطريق" و "الباب" ونشترك فى معرفة الآب، فإننا نسمع الكلمات: " *طوباهم الذين بلا عيب فى الطريق*"[٤١] وأيضًا " *طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله*"[٤٢].

٦٥ـــ وهكذا إذ قد ظهر الحق واتضح أن **الكلمة** من جهة طبيعته ليس مخلوقًا بالطبيعة، فمن المناسب الآن أن نوضح كيف قيل عنه "أول

---

[٣٩] عب١: ٦

[٤٠] انظر ١كو١٥: ٢٠

[٤١] مز١١٩: ١

[٤٢] مت٥: ٨

الطريق". لأنه حيث إن الطريق الأول الذى كان من خلال آدم، قد ضاع وانحرفنا إلى الموت بدل الفردوس وسمعنا القول: " *إنك من التراب وإلى التراب تعود*"[٤٣]، لذا فإن **كلمة** الله المحب للبشر لبس ـــ بمشيئة الآب ـــ الجسد المخلوق لكى يُحيّى بدم نفسه هذا الجسد الذى أماته الإنسان الأول بسبب تعدّيه، كما قال الرسول:" *وكرّس لنا طريقًا حيًا حديثًا بالحجاب أى جسده*"[٤٤]. وهو ما شار إليه فى موضع آخر حينما قال: " *إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكلّ قد صار جديدًا*"[٤٥]. فإن كان كلّ شئ قد صار خليقة جديدة فمن الضرورى أن يكون هناك شخص هو بكر هذه الخليقة. ولا يمكن أن يكون هو الإنسان الضعيف الترابى، وهى حالتنا نحن بسبب التعدى. لأنه فى الخليقة الأولى قد صار البشر عديمى الايمان وهلكت الخليقة الأولى بسببهم، ولذا صارت هناك حاجة إلى آخر وهو الذى يقوم بتجديد الخليقة الأولى والذى يحفظ الخليقة الجديدة التى ستُخلق. فليس هناك أحد غير الرب ـــ الذى هو بداية الخليقة الجديدة ـــ قد خُلِقَ (كما قيل سابقًا) ليكون أول الطريق، وذلك من محبته للبشر، وهكذا يكون من الصوات أن يقول: " *الرب خلقنى أول طرقه لأجل أعماله*" لكى لا يحيا الإنسان فيما بعد بحسب الخليقة الأولى. وإذ توجد بداية خليقة جديدة والمسيح هو بدء طرقها، إذن فلنقتف أثره لأنه هو الذى قال لنا: " *أنا هو الطريق*". وأيضًا يعلّم

---

[٤٣] تك٣: ١٩

[٤٤] عب١٠: ٢٠ انظر أيضًا كتاب تجسد الكلمة، المرجع السابق، فصل ٢٥/٥.

[٤٥] ٢كو٥: ١٧

الرسول المغبوط فى رسالته إلى أهل كولوسى قائلاً: " *هو رأس الجسد الكنيسة، الذى هو البداية، البكر من بين الأموات لكى يكون متقدمًا فى كل شئ*"[٤٦].

٦٦ ــ لأنه إن كان المسيح ــ كما قيل ــ يعتبر بداية بسبب القيامة من الأموات، إذ قد حدثت القيامة عندما لبس جسدنا وبعد ان سلّم ذاته للموت من أجلنا، فإنه يكون واضحًا أن ما قاله هو: " *خلقنى أول طرقه*" يشير ليس إلى جوهره بل إلى وجوده الجسدى. لأن الموت خاص بالجسد. وكما أن الموت صفة خاصة للجسد، هكذا أيضًا فإن الوجود الجسدى يكون خاصًا بالقول: " *الرب خلقنى أول طرقه*". لأنه هكذا خُلِقَ المخلّص بحسب الجسد وصاروا أول الذين صاروا من جديد وأتخذ باكورتنا التى هى الجسد البشرى الذى لبسه، وبعده يأتى الشعب الآتى الذى خُلِقَ كما قال داود: " *يكتب هذا لجيل آخر، وشعب سيُخلق يسبح الرب*"[٤٧]. ويقول فى المزمور الحادى والعشرين:" *الجيل الآتى سيُخّبر عن الرب. وسيُعلنون بره للشعب الذى سيُولد الذى صنعه الرب*"[٤٨]. لأننا لن نسمع بعد: " *يوم تأكل منها موتًا تموت*"[٤٩]، بل نسمع: " *حيثما أكون أنا تكونون أنتم أيضًا*"[٥٠]. وهكذا نستطيع أن

---

[٤٦] كو١: ١٨

[٤٧] مز١٠٢: ١٨

[٤٨] انظر ٢٢: ٣٠ و٣١ (مز٢١ بالسبعينية).

[٤٩] تك٢: ١٧

[٥٠] يو١٤: ٣

نقول: " *لأننا نحن عمله مخلوقين لأعمال صالحة*"[51]. ومرة أخرى حيث إن عمل الله ــ أى الإنسان ــ الذى خُلِقَ كاملاً، قد صار ناقصًا بسبب المخالفة، وصار ميتًا بالخطيئة، فلم يكن لائقًا أن يظل عمل الله ناقصًا. ولأجل هذا توسل جميع القديسين قائلين فى المزمور ١٣٧: " *يارب جازهم بسببى.. يارب لا تتخلّ عن أعمال يدك*"[52]. لأجل هذا فإن **كلمة** الله الكامل قد لبس الجسد الناقص. ولهذا يُقال إنه " خُلِق من أجل الأعمال"، لكى بعد أن يوفى الدين بدلاً منا يكملّ بنفسه ما هو ناقص عند الإنسان. فالإنسان ينقصه الخلود والطريق إلى الفردوس. وهذا يتضح ما قاله المخلص: " *أنا مجدتك على الأرض، العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته*"[53] وأيضًا " *الأعمال التى أعطانى الآب إياها لأكملها. هذه الأعمال بعينها التى أنا أعملها هى تشهد لى*"[54]، إن الأعمال التى يتحدث عنها هنا أن الآب قد أعطاها له ليكملها، هى تلك التى خُلِق من أجلها كما يقول فى الأمثال: " *الرب خلقنى أول طرقه لأجل أعماله*". وهذا كإنه يقول: " *الآب أعطانى الأعمال*" و" *الرب خلقنى لأجل الأعمال*".

٦٧ــ إذن يامحاربى الله، متى أخذ الأعمال لكى يكملها؟ فمن هذا أيضًا سيتضح معنى اللفظ "خَلَقَ". فإن قلتم إن هذا حدث فى البدء

[51] انظر أف٢: ١٠

[52] مز١٣٨: ٨ (مز ١٣٧ بالسبعينية)

[53] يو١٧: ٤

[54] يو٥: ٣٦

عندما صنع الأشياء من العدم، يكون هذا كذبًا وغير حقيقى، ذلك لأن الأعمال لم تكن قد وجدت بعد. وواضح أنه يقول إنه أخذ "أعمالاً" كانت موجودة عندئذ. وليس من التقوى أن نقول إن هذا حدث قبل الزمن الذى صار فيه **الكلمة** جسدًا، لكى لا يبدو أن مجيئه إلى العالم كان عديم النفع، لأن مجيئه كان لأجل هذه "الأعمال". إذن علينا أن نداوم القول إنه عندما صار إنسانًا، فإنه عندئذ فقط أخذ "الأعمال". لأنه عندئذ أكملها أيضًا شافيًا جراحنا ومانحًا إيانا القيامة من الأموات. لأنه إن كانت "الأعمال" قد أُعطيت عندئذ **للكلمة** أى عندما صار جسدًا، فإنه يكون واضحًا أنه عندما صار إنسانًا فإنه حينئذ أيضًا "خُلق لأجل الأعمال". إذن فلفظ "خَلَقَ" لا يشير إلى جوهره ــ كما قلنا مرارًا ــ بل إلى ولادته بالجسد. ولأن الأعمال صارت ناقصة ومشوهة بسبب التعدى، لذا يُقال عنه إنه "خُلق" من جهة الجسد، لكى بعد أن يكمّل هذه الأعمال ويتمم صنعها يُحضر الكنيسة إلى الآب كما قال الرسول: "*لا دنس فيها ولا غضن أو شئ من مثل ذلك، بل تكون مقدسة وبلا عيب*"[٥٥].

إذن فقد كَمُلَ فيه الجنس البشرى وأُعيد تأسيسه كما كان فى البدء، بل بالأحرى بنعمة أعظم من الأول. لأننا بعد القيامة من بين الأموات لن نخاف الموت بعد، بل سنملك فى السموات مع المسيح على الدوام. وهذا لأن **كلمة** الله الذاتى عينه، الذى من الآب، قد لبس الجسد وصار إنسانًا. لأنه لو كان مخلوقًا ثم صار إنسانًا فإن الإنسان يبقى كما كان دون أن يتحد بالله. لأنه كيف يمكن لمخلوق أن يتحد بالخالق بواسطة

---

[٥٥] أف٥: ٢٧

مخلوق؟ لأن أى معونة يمكن أن يحصل عليها متماثلون من مماثليهم ما داموا هم أيضًا محتاجين إلى نفس المعونة[٥٦]؟ وإن كان **الكلمة** مخلوقًا فكيف يمكن أن يَبطُل حكم الله ويصفح عن الخطيئة وهو أمر كتب عنه الأنبياء أنه خاص بالله؟ لأن " *من هو إله مثلك غافرًا للإثم ومتغاضٍ عن الخطايا*"[٥٧]. فإن الله قال: " *إنك تراب وإلى التراب تعود*"[٥٨]، والبشر قد صاروا مائتين. إذن فكيف يكون فى إمكان المخلوقين أن يبطلوا الخطية؟ فإن الرب نفسه هو الذى أبطلها كما قال هو نفسه: " *إن لم يحرركم الابن*"[٥٩]، وأوضح حقًا أن الابن الذى حرر ليس مخلوقًا وليس من بين المخلوقات، بل هو **الكلمة** الذاتى وصورة جوهر الآب، وهو الذى " *أصدر الحكم*"[٦٠]، فى البداية، وهو الذى صفح عن الخطايا. وإذ قيل بواسطة **الكلمة** " *أنت من التراب وإلى التراب تعود*" هكذا أيضًا قد تحققت الحرية **بالكلمة** نفسه وفيه، وبه قد صار إبطال الدينونة.

٦٨ـ ولكنهم يقولون إنه يمكن أن يكون المخلّص مخلوقًا ومع ذلك يقول الله مجرد كلمة ليبطل بها اللعنة. ومن المحتمل أن يسمعوا نفس الشئ من آخر يقول: " كان فى الإمكان ألاّ يأتى الابن إلى العالم على

---

[٥٦] يعبّر القديس أثناسيوس عن نفس هذه الحقيقة بعبارة أخرى، انظر تجسد الكلمة، المرجع السابق، فصل ٧/١٣، فصل ٥/٢١.

[٥٧] ميخا٧: ١٨.

[٥٨] تك٣: ١٩.

[٥٩] انظر يو٨: ٣٦.

[٦٠] يقصد أن الكلمة هو الذى أصدر حكم الموت " *لأنك من التراب وإلى التراب تعود*".

الإطلاق، وأن يتكلم الله فقط ويبطل النعمة"[٦١]. ولكن يلزم التفكير فى تحديد ما هو ملائم للبشر وليس فى ما يكون فى استطاعة الله. لأنه كان قادرًا أن يهلك البشر المخالفين قبل فلك نوح، ولكنه فعل هذا بعد الفلك. وكان يسطتيع بدون موسى أن يخرج الشعب من مصر بكلمة فقط، ولكن كان من المفيد أن يفعل هذا بواسطة موسى. وكان يستطيع الله أيضًا أن يخلّص الشعب بغير القضاة ولكن كان من مصلحة الناس أن يقيم لهم قاضيًا فى كل عصر. وكان من الممكن أن يقيم المخلّص بيننا منذ البداية، أو بعد أن جاء كان يمكنه ألاّ يستسلم لبيلاطس. لكنه جاء عند إنقضاء الدهور. فعندما سألوه قال: " *أنا هو*"[٦٢]. لأن ما صنعه كان هو بعينه النافع للبشر. ولم يكن من المناسب أن يكون هناك شئ آخر. وبرعايته قد صنع أيضًا ما هو نافع ولازم.

إذن فهو قد " *جاء لا لكى يُخدم، بل لكى يَخدم وأن يصنع لنا خلاصًا*"[٦٣]. وبالتأكيد كان يستطيع أن يملى الشريعة من السماء غير أنه رأى أنه لصالح البشر أن يمليها من سيناء. وهذا ما قد صنعه بالفعل حتى يستطيع موسى أن يرتقى الجبل ويتمكن أولئك الذين يسمعون الكلام عن قرب أن يؤمنوا أكثر. ويمكن أيضًا أن ندرك صواب ما قد فعله من الآتى:

---

[٦١] سبق أن حاجج كلسوس المسيحيين بهذا القول. انظر أوريجينوس في رده على كلسوس ٤/٣ غير أن هذه الحجة وردت على لسان الآريوسيين، كما سبق أن أشار إليها القديس أثناسيوس من قبل وفندها في كتابه تجسد الكلمة، المرجع السابق، فصل ٤٤.

[٦٢] يو١٨: ٥

[٦٣] مت٢٠: ٢٨

ولو أن الله قال كلمة واحدة ـ لسبب قدرته ـ وأبطل بها اللعنة، لظهرت قوة الذى أعطى الأمر ولكن الإنسان سيظل كما كان آدم قبل العصيان، لأنه كان سيحصل على النعمة من الخارج دون أن تكون متحدة مع الجسد (فهذه كانت الحالة عندما وضع فى الجنة) بل ربما صارت حالته الآن أسوأ مما كان فى الجنة بسبب أنه قد تعلّم كيف يعصى. فلو كانت حالته هكذا وأُغوى مرة أخرى بواسطة الحيّة لصارت هناك حاجة مرة أخرى أن الله يأمر ويبطل اللعنة وهكذا تستمر الحاجة إلى ما لا نهاية، ولظل البشر تحت الذنب لسبب استعبادهم للخطية ـ إذ هم يقترفون الأثم ـ ولظلوا على الدوام فى حاجة لمن يعفو عنهم ولما خلصوا قط. ولكونهم أجسادًا بحسب طبيعتهم فإنهم يظلون مقهورين دائمًا بواسطة الناموس لسبب ضعف الجسد[٦٤].

٦٩ـ ومرة أخرى (نقول)، لو كان الابن مخلوقًا لظل الإنسان مائتًا كما كان قبلاً، حيث إنه لم يتحد بالله. فإنه لا يستطيع مخلوق أن يوّحد المخلوقات مع الله، إذ أنه هو نفسه فى حاجة لمن يوحده بالله. وليس فى وسع جزء من الخليقة أن يكون خلاصًا للخليقة إذ هو نفسه فى حاجة إلى الخلاص. ولكى لا يحدث هذا أرسل الله ابنه وصار ابن الإنسان بأتخاذه الجسد المخلوق. وحيث إن الجميع كانوا خاضعين للموت، وكان هو مختلفًا عن الجميع فقد قدّم جسده الخاص للموت من

---

[٦٤] سبق أن أوضح القديس أثناسيوس نفس هذا التعليم بأسلوب مشابه وذلك في إطار دفاعه عن تجسد الكلمة، انظر كتاب تجسد الكلمة، المرجع السابق، فصل ٨/٤٤.

أجل الجميع. إذن حيث إن الجميع ماتوا بواسطته هكذا قد تم الحكم (إذ أن الجميع ماتوا فى المسيح). وهكذا فإن الجميع يصيرون بواسطته أحرارًا من الخطية ومن اللعنة الناتجة عنها، ويبقى الجميع على الدوام قائمين من الأموات ولابسين عدم موت وعدم فساد. وكما قلنا مرارًا وتكرارًا فإن **الكلمة** بلبسه للجسد بدأ يبطل منه كلية كل لدغة من لدغات الحية، ويقطع منه أى شئ ينبع من حركات الجسد، ويبطل معها أيضًا الموت الذى يتبع الخطية[٦٥] كما قال الرب نفسه: " *رئيس هذا العالم يأتى وليس له فىّ شئ*"[٦٦]. وحيث إن أعمال إبليس[٦٧] قد نُقضَت من الجسد فقد تحررنا جميعًا بسبب علاقتنا بجسده، وصرنا متحدين مع **الكلمة**، ولأننا متحدون مع الله فلن نمكث كثيرًا بعد على الأرض، بل كما قال هو نفسه: " *حيث يكون هو هناك تكون نحن أيضًا*"[٦٨]. وعندئذ لن نخاف الحيّة بعد لأنها أُبطلت بواسطة الجسد بعد أن طردها المخلّص عندما سمعت " *اذهب عنى يا شيطان*"[٦٩]. وهكذا طُرد خارج الفردوس وألقى فى النار الأبدية. ولن نحترس بعد من المرأة التى خدعتنا لأنه فى " *القيامة لا يزوجون ولا*

[٦٥] يُجمل القديس أثناسيوس في هذه الفقرة تعليمه ودفاعه عن ألوهية الابن المتجسد موضحًا عمله الخلاصي من أجل البشرية كلها. ويمكن مقارنة هذا الجزء بما ورد في كتابه "تجسد الكلمة" الفصل ٢٠، حيث لخص فيه القديس أثناسيوس سبب ظهور كلمة الله في الجسد.

[٦٦] يو١٤: ٣٠

[٦٧] ١يو٣: ٨

[٦٨] انظر يو١٤: ١٣

[٦٩] مت٤: ١٠

يتزوجون بل يكونون كالملائكة"[٧٠] وستكون خليقة جديدة فى المسيح يسوع " *حيث ليس ذكر وأنثى*"[٧١]. بل سيكون المسيح الكلّ فى الكلّ[٧٢]، وحيث يكون المسيح فأى خوف أو خطر يكون هناك؟

٧٠ــ ولكن كل هذا لم يكن ممكنًا أن يحدث لو أن **الكلمة** كان مخلوقًا فالشيطان إذ هو مخلوق فإنه يواصل الحرب دائمًا ضد المخلوق، وحيث إن الإنسان موجود فى وسط الصراع فهو خاضع للموت، إذ ليس له من بواسطته وعن طريقه يتحد بالله لكى يتحرر من كل خوف. ولذلك فإن الحق يوضح أن **الكلمة** لا ينتمى إلى المخلوقات، بل بالحرى هو نفسه خالقهم. ولذلك فقد لبس الجسد البشرى المخلوق، لكى بعد أن يجدده كخالق فإنه يؤله هذا الجسد فى ذاته[٧٣] هو نفسه، وهكذا يدخلنا جميعًا إلى ملكوت السموات على مثال صورته. لأنه ما كان للإنسان أن يتأله[٧٤] لو أنه أتحد بمخلوق أو لو أن الابن لم يكن إلهًا حقيقيًا. وما كان للإنسان أن يقف فى حضرة الآب لو لم يكن الذى لبس الجسد هو بالطبيعة **كلمته** الحقيقى.

---

[٧٠] مت٢٢: ٣٠

[٧١] انظر غلا٣:٢٨.

[٧٢] انظر ١كو١٥: ٢٨

[٧٣] كثيرًا ما يشدّد القديس أثناسيوس على هذه الحقيقة الخلاصية باستخدام هذا التعبير، وذلك في مقالاته ضد الآريوسيين ١/٣٩، ٢/٤٧، ٢/٥٩، ٣/٣٣، وأيضًا تجسد الكلمة ٣/٥٤، وهذا التعبير عند الآباء بصفة عامة لا يعنى أن الإنسان يصير بطبيعته إلهًا بل يعنى أنه يشترك في الحياة الإلهية، حياة البر والقداسة، التى هي شركة حياة الثالوث.

[٧٤] راجع أيضًا رسائل القديس أثناسيوس إلى أدلفيوس ٤، وإلى سرابيون عن الروح القدس١:٢٤، والدفاع عن الإيمان١٤.

وكما أنه لو لم يكن الجسد الذى لبسه **الكلمة** جسدًا بشريًا لما كنا قد تحررنا من الخطيئة واللعنة (حيث إنه فى هذه الحالة لا يكون هناك شئ مشترك بيننا وبين ما هو غريب)[٧٥]، هكذا لم يكن للإنسان أن يؤله لو لم يكن **الكلمة** هو ابن طبيعى حقيقى وذاتى من الآب. لهذا إذن صار الاتحاد هكذا: أن يتحد ما هو بشرى بالطبيعة بهذا الذى له طبيعة الألوهية، ويصير خلاص الإنسان وتأليهه مؤكدًا. لذلك فإن الذين ينكرون أن الابن هو بالطبيعة من الآب وأنه مولوده الذاتى من جوهره، فلينكروا أيضًا أنه قد حصل على جسده البشرى الحقيقى من مريم الدائمة البتولية. لأنه لن يكون لنا نحن البشر أى ربح بعد، إن لم يكن **الكلمة** هو ابن الله الحقيقى بالطبيعة، وإن لم يكن الجسد الذى اتخذه هو جسد حقيقى.. ولكنه بالتأكيد قد اتخذ جسدًا حقيقيًا برغم ما يهذى به فالنتينوس[٧٦]، ذلك لأن **الكلمة** هو إله حق بالطبيعة رغم هذيان مجانين الآريوسية[٧٧]. فهو بهذا الجسد قد صار بدء خليقتنا الجديدة لأنه قد خُلِق كإنسان لأجلنا وقد كرّس لنا ذلك الطريق كما قد كُتب.

٧١ـــ إذن **فالكلمة** ليس مخلوقًا، لأن ألفاظ "المخلوق" و"المصنوع" و"العمل" تعنى نفس الشئ. فلو كان "مخلوقًا" لكان أيضًا "مصنوعًا" و"عملاً" لهذا فإنه لم يقل "خلقنى عملاً" و"صنعنى مع الأعمال" لكى لا

---

[٧٥] يقصد بـــ"ما هو غريب"، الطبيعة الإلهية التى تختلف عن طبيعتنا البشرية المخلوقة.

[٧٦] فالنتينوس: هو الممثل الرئيسى للغنوسية فى القرن الثانى وبحسب مذهبه أن العالم نشأ من الإله الأعلى بواسطة سلسلة لا نهائية من الآلهة الوسطاء ــ أى الدهور. وقد وصلت إلينا أخبار هذه الهرطقة أساسًا من ايريناوس وهيبوليتوس.

[٧٧] انظر فصل ١٤:١ وفصل ١٥:١٧.

يُظن من الناحية الأخرى ــ حسب نية الكافرين ــ أنه صار أداة من أجلنا. وأيضًا لم يعلن: "خلقنى قبل الأعمال"، لئلا وهو كائن قبل الكلّ "مولود"، ثم يقال أنه أيضًا "مخلوق قبل الأعمال"، فإن اللفظ "مولود"، واللفظ "خلَقَ" يظهران كأن لهما نفس المعنى. ولكنه قال بتمييز دقيق : "من أجل الأعمال" كأنه يقول "الآب صنعنى جسدًا لكى أصير إنسانًا"، حتى يظهر من هذا أيضًا انه ليس "عملاً"، بل هو "مولود". لأنه كما أن من يدخل إلى المنزل لا يعتبر جزءً من المنزل، بل هو مختلف عن المنزل[78]، هكذا من يُخلق من أجل الأعمال فإنه بالطبيعة مغاير للأعمال. لأنه لو كان كلمة الله "عملاً" ــ وفقًا لمعتقداتكم أيها الآريوسيون ــ فبأية "حكمة" إذن وبأية "يد" قد وُجد هو أيضًا؟ لأن كل الكائنات قد وُجدت بيد الله وحكمته. فإن الله نفسه يقول "*كل هذه صنعتها يدىّ*"[79]. وداود يرتل قائلاً: "*منذ البدء أسست الأرض والسموات هى عمل يديك*"[80]. ويقول أيضًا فى المزمور المئة والثانى والأربعين: " تذكرت أيامًا قديمة، تأملت فى جميع اعمالك، بصنائع يديك كنت أتأمل"[81]. إذن فإن كانت يد الله هى التى صنعت الصنائع، وقد كُتب: "*كل الأشياء قد صارت بالكلمة وبغيره لم يكن شئ مما كان*"[82]، وأيضًا: "*رب واحد يسوع المسيح الذى به جميع الأشياء*"[83]،

---

[78] يذكر القديس أثناسيوس تشبيهًا مماثلاً عن دخول أحد الملوك العظام مدينة عظيمة وسكنه في أحد منازلها، انظر "تجسد الكلمة" المرجع السابق، فصل ٣/٩.

[79] إش٦٦: ٢

[80] مز١٠٢: ٢٥

[81] مز١٤٢: ٥

[82] انظر يو١: ٣

وأيضًا " *فيه يقوم الكلّ*"[٨٤]، فإنه من الواضح أن الابن لا يمكن أن يكون "عملاً" ولكنه هو يد الله وحكمته. وقد عرف هذا الذين صاروا شهودًا فى بابل أى حنانيا وعزريا وميصائيل، وهم يدحضون الكفر الآريوسى لأنهم قالوا: " *باركى الرب يا جميع أعمال الرب*"[٨٥]. وقد اعتبروا كل ما فى السماء وعلى الأرض والخليقة جمعاء أنها "أعمال" أما الابن فإنهم لم يذكروه بين الأعمال لأنهم لم يقولوا: "بارك أيها **الكلمة** وسبحى أيتها الحكمة". وهذا يوضح أن كلّ الأشياء غيرهما تسبح وهى "أعمال"، أما **الكلمة** فهو ليس "عملاً" ولا ينتمى إلى الأشياء التى تسبح، بل هو مُسبح مع الآب ومعبود ويُعترف به إلهًا لأنه هو **كلمة** الآب وحكمته وهو خالق "الأعمال". وقد قال الروح هذا أيضًا فى المزامير بتمييز بديع للغاية: " *لأن كلمة الرب مستقيمة وكل أعماله موثوق بها*"[٨٦]، كما يقول أيضًا فى مزمور آخر " *ما أعظم أعمالك يارب، كلها صنعتها بحكمة*"[٨٧].

٧٢ــ فإن كان **الكلمة** "عملاً" فإنه يكون قد وُجِد بواسطة الحكمة، ولما ميزه الكتاب عن "الأعمال"، ولِما سمّى الكتاب تلك "أعمالاً" بينما يُبَشّر به هو أنه **كلمة** الله وحكمته الذاتية. أما الآن فإن الكتاب إذ يميّزه عن "الأعمال" فإنه يوضح أن الحكمة هى خالقة "الأعمال" وهى ليست

---

[٨٣] اكو٨: ٦

[٨٤] كو١: ١٧

[٨٥] دا ٣: ٥٧ سبعينية

[٨٦] مز٣٣: ٤ سبعينية

[٨٧] مز١٠٤: ٢٤

"عملاً" ونفس هذا التمييز قد استخدمه بولس عندما كتب إلى العبرانيين: " *لأن كلمة الله حىّ وفعّال، وأمضى من كل سيف ذى حدين، وخارق إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميز لأفكار القلب ونياته، وليست خليقة غير ظاهرة أمامه، بل كل شئ مكشوف وعريان أما عينى ذاك الذى نقدم له الحساب*"[٨٨]. لأنه ها هو يدعو الكائنات "خليقة" أما الابن فيعّرفه أنه "كلمة الله" الذى هو مختلف عن المخلوقات. وهو يقول أيضًا: " كل شئ مكشوف وعريان أمام عينى ذاك الذى نقدم له الحساب"، وهذا يعنى أنه غير كل الكائنات.

لهذا إذن فهو الذى يدين، اما كل واحد من الكائنات فهو مسئول أن يقدم حسابًا أمامه. وهكذا فإن كل الخليقة تئن معًا من أجل أن تتحرر من عبودية الفساد[٨٩]، وبهذا يظهر أن الابن هو غير المخلوقات لأنه لو كان مخلوقًا لكان واحدًا من أولئك الذين يئنون ويحتاج إلى من يعطيه التبنى ويحرره ايضًا مع الكائنات الأخرى. فإن كانت كل الخليقة تئن معًا من أجل التحرر من عبودية الفساد، إلاّ أن الابن ليس من بين الذين يئنون ولا من بين الذين يحتاجون إلى الحرية، بل هو الذى يعطى التبنى والحرية للجميع كما قال لليهود فى تلك الأيام: " *العبد لا يبقى فى البيت إلى الأبد، أما الابن فيبقى إلى الأبد. فإن حرّركم الابن فبالحقيقة تكونون أحرارًا*"[٩٠]. فمن ذلك يصير واضحًا أكثر من النور أن كلمة الله ليس مخلوقًا، بل هو ابن الآب الحقيقى

[٨٨] عب٤: ١٢ و١٣

[٨٩] انظر رو٨: ٢١ و٢٢

[٩٠] يو٨: ٣٥ و٣٦

الأصيل بالطبيعة.

إذن فيما يتعلق بالعبارة " *الرب خلقنى أول الطرق*"، وإن كنا نتناولها بإيجاز فإن هذا يكفى كما أعتقد ليعطى مادة للعارفين لكى يعدوا ردودًا على البدعة الآريوسية. ولكن عندما قرأ الهراطقة الآية المكتوبة بعدها: " *أسسنى قبل أن يكون الدهر*"[٩١]، أساءوا التفكير بخصوصها وظنوا أنه يشير بها إلى ألوهية **الكلمة**، وليس إلى حضوره الجسدى، لذا فمن الضرورى أن نشرح هذه الآية لكى نثبت ضلالهم.

---

[٩١] أم٨: ٢٣

الفصل الثانى والعشرون

شرح نصوص: سادسًا:

" أسسنى قبل الدهر"

أمثال ٨: ٢٢-٣٠

٧٣ ــ مكتوب " *بالحكمة أسس الله الأرض*"[١]. فإن كانت الأرض إذن قد تأسست بالحكمة فكيف تأسس هذا الذى أسسها؟. ولكن هذا النص قد قيل بأسلوب الأمثال. ويجب أن نبحث عن المقصود من هذا لكى نعرف أن الله خلق الأرض وأسسها بالحكمة لكى تكون ثابتة وطيدة وتظل باقية. والحكمة نفسها تأسست لأجلنا لكى تصير بداية وأساس خليقتنا الجديدة وتجديدنا. وهنا أيضًا لا يقول فى هذه النصوص أنه "قبل الدهر (العالم) قد صنعنى كلمة أو ابنًا لكى لا يبدو أن له بداية صنع، فقبل كل شئ يجب أن نبحث إن كان هو ابنًا وأن نفتش الكتب بخصوص هذا الأمر. فهذا ما أجاب به بطرس، عندما سُئل الرسل، قائلاً: " *أنت هو المسيح ابن الله الحىّ*"[٢]. فإن أب الهرطقة الآريوسية[٣] سأل هذا السؤال أيضًا فى البداية: " *إن كنت ابن الله؟*"[٤] لأنه عرف أن هذا هو الحق وأساس ايماننا، وإنه إن كان هو الابن فيكون هذا هو نهاية حكم الشيطان الاستبدادى، أما إن كان مخلوقًا فإنه يكون واحد من ذرية آدم الذى خدعه الشيطان، وبذلك فلا يكون لديه داعٍ لأى اكتراث.

---

[١] أم٣: ١٩

[٢] مت١٦: ١٦

[٣] أبو الهرطقة الآريوسية هو الشيطان.

[٤] مت٤: ٦

وكان يهود ذلك الزمان ساخطين لأنه دعا نفسه ابن الله وكان يقول إن الله أبوه. لأنه لو كان قد دعا نفسه واحدًا من بين المخلوقات أو لو كان قد قال: "إني مصنوع" لما اندهشوا وهم يسمعون ولما ظنوا أن هذه الأقوال تجديف، ما داموا يعرفون أن الملائكة كانت تظهر لآبائهم أيضًا. ولكن حينما دعا نفسه ابنًا بدأوا يعتبرون أن هذا اللقب لم يكن يميّز المخلوق بل يميز الألوهية وطبيعة الآب.

٧٤ ــ وكان ينبغي على الآريوسيين ــ محاكاة لأبيهم الشيطان ــ أن يبحثوا هذا الأمر بدقة. لو كان قد قال: "أسسني كلمة أو ابنًا" وأن يفكروا كما يفكرون. ولكن إن لم يكن قد قال هكذا فلا ينبغي أن يبتدعوا لأنفسهم أمورًا لا وجود لها. لأنه لم يقل: " قبل الدهر أسسني كلمة أو ابنًا" بل قال ببساطة "أسسني" لكي يوضح ــ كما قلت ــ إنه يقول هذا في أمثال ليس عن نفسه بل عن هؤلاء الذين يُبنَونَ فوقه. ولأن الرسول قد عَرَف هذا لذا فإنه يكتب: " *لا يستطيع أحد أن يضع أساسًا آخر غير الذي وُضع الذي هو يسوع المسيح*"[٥] وأيضًا " *فلينظر كل واحد كيف يُبنى عليه*"[٦] ومن الضروري أن يكون الكلام مماثلاً لتلك الأشياء التي تُبنى عليه حتى يمكنها أن تتلائم معه وتتحد به. ولكونه **الكلمة**، فإنه من حيث كونه **كلمة** حقًا فلا يوجد هناك من يماثلونه حتى يمكن أن يتحدوا معه ــ وذلك لأنه وحيد الجنس ــ ولكنه بصيرورته إنسانًا فقد صار له مماثلون وهم الذين إرتدى

---

[٥] ١كو٣: ١١

[٦] ١كو٣: ١٠

جسدهم المماثل لجسده. وتبعًا لذلك فإنه "تأسس" بحسب بشريّته لكى يمكننا نحن أيضًا أن نبنى فوقه كحجارة كريمة ونصير هيكلاً للروح القدس الساكن فينا. وكما إنه هو أساس حقًا، فنكون نحن الحجارة التى تبنى عليها، وأيضًا يكون هو الكرمة ونصير نحن أغصانه ليس بحسب جوهر اللاهوت ــ لأن هذا مستحيل حقًا ــ بل بحسب بشريته، لأن الأغصان يلزم أن تكون مشابهة للكرمة، حيث إننا نحن مشابهون له بحسب الجسد.

وأيضًا حيث إن الهراطقة يفكرون بطريقة بشريّة فمن الملائم أن ندحض أقوالهم بأمثال بشريّة. فهو لم يقل: "قد جعلنى أساسًا" لكى لا يجدوا فى هذا القول حجة وقحة للكفر زاعمين إنه مصنوع وأن له بداية وجود، بل قال إنه: "أسسنى". فالذى يؤسس إنما يؤسس بسبب الحجارة التى توضع فوقه وهذا يحدث ليس كيفما أُتفق، بل بنقل الحجارة من جبل أولاً ثم بعد ذلك توضع فى عمق الأرض. وطالما كانت الحجارة موجودة فى الجبل فهى لا تكون قد تأسست بعد، إلا عندما تستدعى الحاجة فيتم نقلها وتوضع فى عمق الأرض، وعندئذ لو كانت تستطيع أن تتكلم لقالت: "الآن أسسنى هذا الذى نقلنى من الجبل إلى هنا". إذن فالرب عندما "أُسس" لم يكن هذا هو بداية وجوده (لأنه قبل التأسيس كان **كلمة**)، لكن عندما لبس جسدنا الذى أخذه كقطعة من جسد مريم عندئذ يقول: "أسسنى" كما لو كان قد قال: "لكونى **كلمة** فقد ألبسنى جسدًا ترابيًا". لأنه هكذا تأسس من أجلنا. آخذًا ما يخصنا على عاتقه. لكى بإتحادنا معه فى الجسد، وارتباطنا به بسبب مشابهة الجسد نبقى غير مائتين وغير قابلين للفساد وبه

نصل إلى إنسان كامل[7].

٧٥ ــ أما العبارات: "*قبل الدهر*" و"*قبل أن يصنع الأرض*" و"*قبل أن ترسى الجبال*"[8] فلا ينبغى لأحد أن ينزعج بسببها، لأنه ربطها بتناسق تام مع لفظ "أسس" ولفظ "خلق". لأن هذا ينسجم أيضًا مع التدبير بحسب الجسد. لأنه رغم أن النعمة التى صارت نحونا من المخلّص وقد ظهرت كما قال الرسول[9] وقد حدث هذا عندما أقام بيننا، إلا أن هذه النعمة قد أُعدت قبل أن يخلقنا بل حتى من قبل أن يخلق العالم. والسبب فى هذا صالح ومذهل. فلم يكن من اللائق أن يفكر الله بخصوصنا بعد أن خلقنا لكى لا يظهر إنه يجهل الأمور التى تتعلق بنا. فإله الجميع إذن ــ عندما خلقنا **بكلمته** الذاتى ولأنه كان يعرف أمورنا أكثر منا ويعرف مقدمًا أننا رغم أنه قد خلقنا صالحين إلا أننا سنكون فيما بعد مخالفين للوصية، وأننا سنُطرد من الجنة بسبب العصيان ــ ولأنه هو محب البشر وصالح فقد أعد من قبل تدبير خلاصنا **بكلمته** الذاتى الذى به أيضًا خلقنا. لأننا حتى إن كنا قد خُدعنا بواسطة الحيّة وسقطنا فلا نبقى أموات كلية بل يصير لنا بـ**الكلمة** الفداء والخلاص الذى سبق إعداده لنا لكى نقوم من جديد ونظل غير مائتين، وذلك عندما "خُلِق" هو من أجلنا "بدء الطرق" وصار "بكر الخليقة" و"بكر إخوة" وقام "باكورة الأموات"

---

[7] انظر أف ٤ : ١٣

[8] أم٨: ٢٣ ــ ٢٥

[9] انظر تيطس٢: ١١

إن بولس الرسول المغبوط يعلّم بهذا كتفسير للنص الذى جاء فى الأمثال: "قبل الدهور" و"قبل أن تكون الأرض"، وذلك عندما كتب إلى تيموثاوس قائلاً: " *اشترك فى احتمال المشقات لأجل الإنجيل بحسب قوة الله الذى خلّصنا ودعانا دعوة مقدسة، لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى النعمة التى أُعطيت لنا فى المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية، وإنما أُظهرت الآن بظهور مخلّصنا يسوع المسيح الذى أبطل الموت وأنار الحياة*"[10]. بل وقال لأهل أفسس: " *مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى باركنا بكل بركة روحية فى السمويات فى المسيح يسوع. كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قدامه فى المحبة قديسين وبلا لوم. إذ سبق فعيننا للتبنى بيسوع المسيح لنفسه*"[11].

٧٦ ــ وكيف اختارنا قبل أن نُخلَق، إن لم نكن ممثلين فيه من قبل كما قال هو نفسه؟ وعمومًا، كيف سبق فعيننا للتبنى قبل يَخلق البشر إن لم يكن الابن نفسه قد "تأسس قبل الدهور" آخذًا على عاتقهِ تدبير خلاصنا؟ أو كيف يضيف الرسول قائلاً: " نلنا نصيبنا معينين سابقًا"[12] لو لم يكن الرب نفسه قد تأسس قبل الدهور، حتى يكون له قصد من أجلنا أن يأخذ على عاتقه نصيب الدينونة الكامل من أجلنا عن طريق الجسد وبهذا نكون نحن متبنون فيه؟ وكيف حصلنا على النعمة "قبل الأزمنة" بينما لم يكن قد خُلقنا بعد، بل خُلِقنا فى الزمن، لو أن النعمة

---

[10] ٢تي١: ٨ ــ ١٠

[11] أفسس١: ٣ ــ ٥

[12] أفسس١: ١١

التى وصلت إلينا لم تكن مودعة فى المسيح؟ لهذا ففى الدينونة عندما ينال كل واحد بحسب عمله، يقول: "*تعالوا يامباركى أبى رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم*"[13]. كيف إذن أو بواسطة مَنْ أعد الملكوت قبل أن يخلقنا، إن لم يكن بواسطة الرب الذى "تأسس قبل الدهر" لأجل هذا الغرض، لكى ببنياننا عليه كحجارة ملتئمة، نشترك فى الحياة والنعمة الممنوحتين معه؟ ولقد حدث هذا مثلما يحدث عمومًا باستقامة لمن يفكر بتقوى. وذلك لكى نستطيع أن نحيا ــ كما سبق أن قلت ــ مادمنا قد قمنا من الموت المؤقت. وهذا لم يكن فى إمكاننا أصلاً حيث إننا بشر من تراب، لو لم يكن رجاء الحياة والخلاص قد أُعد فى المسيح من "قبل الدهور". إذن فمن الإنصاف، إذ إنحدار **الكلمة** إلى جسدنا و" خَلَق فيه أول الطرق من أجل أعماله" فإنه تأسس تمامًا حسب مشيئة الآب التى كانت فيه كما قيل: "*قبل الدهر*" و "*قبل أن تكون الأرض*" و"*قبل أن ترسى الجبال*" و "*قبل تدفق الينابيع*"[14] لكى عندما تزول الأرض والجبال والطبيعة المنظورة فنحن لا نعتق ونبلو مثل هذه المخلوقات، بل سنتمكن أن نحيا بعدها، إذ قبل أن توجد هذه الأشياء قد أُعد لنا حياة وبركة روحية بواسطة **الكلمة** نفسه حسب الاختيار. لأنه هكذا سيكون لنا ليس حياة مؤقتة بل نبقى أحياء فى المسيح بعد هذه الأشياء، إذ أن حياتنا كانت قد تأسست وأُعدت بالمسيح يسوع قبل هذه الأشياء.

---

[13] مت٢٥: ٣٤

[14] انظر أم٨: ٢٢ــ٢٥

٧٧ ـ ولم يكن من اللائق إذن أن تؤسس حياتنا بأى طريقة أخرى سوى أن تؤسس فى الرب الذى هو كائن منذ الأزل، والذى به قد خُلِقت العالمين، لكى نستطيع نحن أيضًا أن نرث حياة أبدية إذ أن هذه الحياة كائنة فيه ولأن الله صالح، وهو صالح على الدوام وهو يعرف طبيعتنا الضعيفة التى تحتاج إلى معونته وخلاصه، لذا فقد خطط هذا. وذلك مثلما لو كان مهندس حكيمًا يريد أن يبنى منزلاً فإنه يخطط فى نفس الوقت كيفية تجديده مرة أخرى لو تدمر يومًا ما بعد أن يتم بناؤه، وهو يُعد لهذا من قبل عندما يخطط، ويعطى للقائم على العمل الاستعدادات اللازمة للتجديد، وهكذا يكون استعداد مسبق للتجديد قبل بناء المنزل. وبنفس الطريقة فإن تجديد خلاصنا قد تأسس فى المسيح قبلنا، لكى يمكن إعادة خلقنا من جديد فيه، فالإرادة والتخطيط قد أُعدا منذ الأزل، أما العمل فقد تحقق عندما استدعت الحاجة وجاء المخلّص إلى العالم. لأن الرب نفسه سيكون فى السماء من أجلنا أجمعين وسيأخذنا معه إلى الحياة الأبدية.

هذا إذن يكفى لكى يوضح أن **كلمة** الله ليس بمخلوق، بل إن العبارة لها معنى مستقيم. وبما أنه عند استقصاء معنى هذه العبارة يتضح أن لها معنى مستقيمًا من جميع وجهات النظر إذن يلزم أن نتحدث بتوسع فى هذا المعنى، لعل الأغبياء يخجلون من كثرة كلامنا. فهم فى حاجة من جديد لما سبق أن قيل لأن جوهر الموضوع يدور حول نفس المثل ونفس الحكمة، **فالكلمة** لم يقل إنه هو نفسه مخلوق بالطبيعة بل قال فى الأمثال: " *الرب خلقنى*". ومن الواضح أن هذا القول له معنى غير صحيح ولكنه يشير إلى أمر مستتر يمكننا أن

نكشف عنه بإزاحة الغطاء عن المثل. لأنه من ذا الذى عندما يسمع الحكمة الخالقة تقول: "*الرب خلقنى أول طرقه*"، ولا يبحث فى الحال عن مغزى هذا القول، لأنه يفكر متمعنًا كيف يمكن أن الخالق يُخلق؟ ومن عندما يسمع ابن الله الوحيد الجنس يقول إنه "قد خُلِقَ أول الطرق"، لا يفتش عن معنى هذا، لأنه يعجب كيف أن الابن الوحيد الجنس يمكن أن يكون الأول لآخرين؟ إنه حقًا لغز. غير أن "الرجل ذو الفهم سيفهم المثل والحديث الغامض وأقوال الحكماء والغازهم"[15].

٧٨ ــ والآن فإن ابن الله الوحيد وحكمته الذاتى هو خالق وبارئ جميع الكائنات لأنه مكتوب "*بحكمة صنعت كل الأشياء*"، "*ملآنه الأرض بخليقتك*"[16] حتى أن المخلوقات تكون موجودة فقط بل يكون هذا الوجود صالحًا. ولهذا سُرّ الله أن تتنازل حكمته إلى مستوى الخليقة حتى تطبع الحكمة صورتها بشكل ما على الجميع معًا وعلى كل منها على حدة، حتى يتضح أن المخلوقات متصفة بالحكمة وأنها أعمال الله الجديرة به. لأنه كما أن الحكمة الموجودة فينا هى صورة الحكمة التى هى الابن ــ كما أن كلمتنا هى على صورة **الكلمة** الذى هو ابن الله ــ وبهذه الحكمة ينبغى أن يكون لنا المعرفة، والفهم ونصير مستقبلين للحكمة الخالقة وبواسطة الابن ــ الحكمة ــ نستطيع أن نعرف أباه. لأنه مكتوب: "*من له الابن له الآب أيضًا*"[17] و "*من*

---

[15] أم١: ٥ و ٦

[16] مز١٠٤: ٢٤ سبعينية

[17] ١ يو٢: ٢٣

يقبلنى يقبل الذى أرسلنى"[18] حيث إنه قد خلق فينا نموذجًا مثل هذا للحكمة، وهو موجود أيضًا فى جميع "الأعمال"، فمن الطبيعى أن يأخذ الحكمة الحقيقى و الخالق (أى الابن) ما يختص بنموذجه (أى الجسد) ويقول: " *الرب خلقنى لأجل أعماله*".

لأن ما تقوله الحكمة التى فى داخلنا، هو ما يقوله الرب نفسه كأنه خاص به. وهو يقول هذا ليس لكونه غير مخلوق ــ إذ أنه هو الخالق ــ بل بسبب صورته المخلوقة من "الأعمال" فهو يقول هذا (الكلام) كما لو كان قد قيل عنه. وكما قال الرب نفسه " *من يقبلنى يقبلكم*" وبسبب أن صورته موجودة فينا. فبرغم أنه ليس من بين المخلوقات، إلا أنه بسبب أن صورته ونموذجه قد خُلق فى "الأعمال" فإنه يقول كأنه يتكلم عن نفسه: " *الرب خلقنى أول طرقه لأجل أعماله*". ولهذا فقد صار نموذج الحكمة هذا فى "الأعمال"، لكى بواسطتها يعرف العالم **الكلمة** خالقه وبواسطته يعرف الآب كما سبق أن قلت. وهذا ما قاله بولس: " *لأن معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم لأن أموره غير المنظورة تُرى بوضوح منذ خلق العالم مُدركة بالمصنوعات*"[19]. لذلك فإن **الكلمة** ليس مخلوقًا بالجوهر ولكن ما جاء فى الأمثال إنما يشير إلى ما هو بداخلنا نحن والذى يُسمى حكمة.

٧٩ ــ وإن كانوا يرفضون الإيمان، حتى بعد هذا الكلام، فليقولوا لنا إن كانت هناك أية حكمة موجودة فى المخلوقات أم أن المخلوقات

---

[18] مت١٠: ٤٠

[19] رو١: ١٩، ٢٠

ليس فيها أية حكمة! وإن لم تكن هناك حكمة فكيف يلوم الرسول قائلاً: "*لأنه إذ كان بحكمة الله لم يعرف العالم الله بالحكمة*"[20]. وإن لم تكن هناك حكمة فكيف توجد حكمات كثيرة فى الكتاب المقدس[21]؟ لأنه "*الحكيم يخشى ويحيد عن الشر*"[22] و "*بالحكمة يُبنى البيت*"[23] وجاء فى سفر الجامعة: "*حكمة الإنسان تُنير وجهه*"[24]. وهو يوبخ المتهورين قائلاً: "*لا تقل، ماذا حدث، لماذا كانت الأيام السابقة خير من هذه، لأنك لا تسأل بحكمة عن هذا*"[25] وإن كانت الحكمة موجودة كما قال ابن سيراخ: "*وسكبها على جميع أعماله فهى مع كل ذى جسد على حسب عطيّته وقد منحها للذين أحبوه*"[26]، فإن مثل هذا الانسكاب لا يكون سمة خاصة لجوهر الحكمة الذاتى والوحيد الجنس بل هو سمة لتلك الحكمة التى صُوّرت فى العالم. فلماذا يكون غير مُصدق أن كانت الحكمة الخالقة الحقيقية ــ التى هى نموذج الحكمة والمعرفة المنسكبة (المخلوقة) فى العالم ــ تتحدث عن نفسها وتقول: "*الرب خلقنى من أجل أعماله*"؟ لأن الحكمة الموجودة فى العالم ليست خالقة بل هى الحكمة المخلوقة داخل الأعمال، تلك الحكمة التى

---

[20] ١كو١: ٢١

[21] سفر الحكمة٦: ٢٤ سبعينية

[22] أم١٤: ١٦

[23] أم٢٤: ٣

[24] جا٨: ١

[25] جا٧: ١٠

[26] ابن سيراخ١: ٩ــ١٠

بها: " *السموات تحدّث بمجد الله والفلك يُخبر بعمل يده*"[٢٧]. أما الناس فإن كانوا يحملون هذه الحكمة بداخلهم فإنهم سيدركون حكمة الله الحقيقية، ويعرفون أنهم قد تشكلوا بحق على صورة الله.

ومثلما يحدث حيثما يريد أحد الملوك أن ينشئ مدينة لابنه، فإن الابن الذى يقوم بالإنشاء. ينقش اسمه على كل الأعمال التى يُجرى بنائها وذلك من أجل الأمن لكى تُحفظ الأعمال بسبب ظهور اسمه على كل عمل ولكى يستطيعوا أن يتذكروه هو وأبيه من الاسم. وعند الانتهاء من إنشاء المدينة فإذا سأله أحد عن المدينة وكيف أُنشأت فإنه سيجيب "أُنشئت لأنها هذه هى إردة ابى بالفعل. وخُطط لها بدقة فى كل عمق واسمى قد خُلِق فى الأعمال". وعندما يقول هذا فإنه لا يعنى أن جوهره قد خُلِقَ بل يعنى أن صورته قد انطبعت من خلال اسمه.

وعلى نفس المنوال إذ نطبق على المثال، فإن الحكمة الحقيقية تُجيب على المندهشين من الحكمة الموجودة داخل الخليقة قائلة: " *الرب خلقنى من أجل الأعمال*" لأن "انطباع الصورة الموجودة فيها هو انطباع صورتى، ولأجل ذلك فأنا قد تنازلت إلى الخليقة".

٨٠ ــ ومرة أخرى لا ينبغى أن يُدهش أحد لو أن الابن تحدث عن المثال المطبوع فينا كما لو كان يتحدث عن نفسه (لأن تكرار نفس الكلام لا يجب أن يبعث على الضجر والملل)، حيث إن شاول حينما كان يضطهد الكنيسة التى يوجد فيها مثاله وصورته فإنه تحدث كما

---

[٢٧] مز ١٩: ١

لو كان هو المُضطهد قائلاً: " *شاول لماذا تضطهدني*"[٢٨]. لذلك (كما سبق القول)، لو كان نموذج الحكمة ذاته الموجود في الأعمال هو الذي قال: " *الرب خلقني لأجل الأعمال*" لما اندهش أحد. وهكذا فإن كان الحكمة الحقيقي الخالق وكلمة الله الوحيد يتحدث عن صورته كما لو كان يتحدث عن ذاته بقوله: " *الرب خلقني لأجل الأعمال*"، فلا يجب أن يجهل أحد أن المقصود هو الحكمة المخلوقة في العالم وفي الأعمال، ويظن أن لفظ "خَلَقَ" قد قيل عن جوهر الحكمة..... كي لا يبدو بمزجه الخمر بالماء[٢٩] إنه يسلب الحقيقة. فالحكمة نفسها جالبة وخالقة، ولكن نموذجها مخلوق بداخل الأعمال كنموذج للصورة نفسها تمامًا، وهو يقول: "أول الطريق" حيث إن مثل هذه الحكمة صارت كنوع من البداية وكمرشد إلى معرفة الله. فلو أن أحدًا سار في أول هذا الطريق حافظًا إياه بخوف الله، كما قال سليمان: " *بدء الحكمة مخافة الرب*"[٣٠] فإنه عندما يتقدم بالفكر مدركًا عمل الحكمة الخالقة الذي في الخلق، سيدرك بها أباه أيضًا كما قال الرب نفسه: " *الذي رآني فقد رأى الآب*"[٣١] وكما كتب يوحنا: " *من يعترف بالابن فله الآب أيضًا*"[٣٢] والابن يقول: " *قبل الدهر أسس*"[٣٣]، حيث إن الأعمال تبقى في نموذجها راسخة دائمًا. ولئلا عندما يسمع أحد عن الحكمة

---

[٢٨] أع٩: ٤

[٢٩] انظر إش١: ٢٢

[٣٠] أم١: ٧

[٣١] يو١٤: ٩

[٣٢] ايو٢: ٢٣

[٣٣] أم ٨ : ٢٣ سبعينية

المخلوقة فى الأعمال يظن أن الحكمة الحقيقية ابن الله هو مخلوق بالطبيعة، فإنه يُضيف بالضرورة "*قبل أن تكون الجبال*" و "*قبل أن تكون الأرض*" و "*قبل المياه*" و "*قبل كل الجبال ولدنى*"[٣٤] وإذ يشير بهذه إلى كل الخليقة فإنه يوضح بقوله: *قبل كل الخليقة*" فإن لم يُخلَق بحسب الجوهر مع الأعمال. لأنه لو كان قد خُلِقَ من أجل الأعمال وهو الموجود قبل الأعمال، فواضح أنه كائن قبل أن يُخلق، فهو إذن ليس مخلوقًا بحسب الطبيعة والجوهر، بل كما أضاف هو نفسه أنه موجود. أما فيما يختلف "المخلوق" عن "المولود" وكيف يتميز عنه بحسب الطبيعة فهذا قد سبق بيانه من قبل.

٨١ ــ وحيث إنه أضاف قائلاً: " *عندما أعدّ السموات كنت أنا فى نفس الوقت معه*"[٣٥] ينبغى أن نعرف أنه لم يقل هذا كما لو أن الآب أعد السماء أو السحب العليا بدون الحكمة، لأنه لا ريب أن جميع الأشياء قد خُلقت بالحكمة، وبغيرها لم يكن شئ ما. وما قاله يعنى هذا أن " كل الأشياء قد صارت بى وبواسطتى، وعندما صار هناك احتياج أن تُخلَق الحكمة لأجل الأعمال، فإنى أنا كائن مع الآب حسب الجوهر، لكن بالتنازل إلى المخلوقات قد طبعت صورتى على الأعمال، حتى يكون العالم كأنه فى جسد واحد غير متمرد بل يكون متوافقًا مع نفسه. فكل الذين يتأملون المخلوقات بفكر مستقيم بحسب الحكمة المعطاة لهم يستطيعوا أن يقولوا: " *كل الأشياء تَثبتُ*

---

[٣٤] انظر أم ٨ : ١ ــ ٢٢

[٣٥] أم ٨ : ٢٧ سبعينية

بتدبيرك"[٣٦]. أما الذين يستهينون بهذا الأمر فيلزم أن يسمعوا: "*وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء*"[٣٧] لأن: "*معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم. لأن أموره غير المنظورة تُرى بوضوح منذ خَلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته حتى أنهم بلا عذر لأنهم لما عرفوا الله لم يمجدوه كإله*"[٣٨] بل "*عبدوا المخلوق دون خالق الكلّ الذى هو مبارك إلى الأبد. آمين*"[٣٩]. وهم بالتأكيد سيخجلون عندما يسمعون: "*لأنه إذا كان (العالم) فى حكمة الله (وفقًا لما شرحناه سابقًا) لم يعرف الله بالحكمة، استحسن الله أن يخلّص المؤمنين بجهالة الكرازة*"[٤٠] لأن الله لا يريد بعد ـــ مثلما حدث فى العصور السابقة ـــ أن يُعرف عن طريق صورة وظل الحكمة الموجودة فى المخلوقات بل جعل الحكمة الحقيقية ذاتها تتخذ جسدًا وتصير إنسانًا وتعانى موت الصليب، لكى يتمكن جميع الذين يؤمنون أن يخلصوا بالإيمان به. وطبعًا إن الحكمة ذاتها هى التى أظهرت نفسها من قبل فى صورتها الموجودة فى المخلوقات، والتى يُقال عنها إنها قد خُلقت، وهكذا فقد أظهرت أباها أيضًا بواسطة ذاتها. وفيما بعد فإن نفس الحكمة التى هى **الكلمة** "*قد صار جسدًا*" كما قال يوحنا. وبعد إبطال الموت وتخليص جنسنا فإنه أكثر من ذلك أظهر أباه أيضًا

---

[٣٦] مز ١١٩ : ٩١ سبعينية

[٣٧] رو ١ : ٢٢

[٣٨] رو ١ : ١٩ ـــ ٢١

[٣٩] رو ١ : ٢٥

[٤٠] ١كو ١ : ٢١

من خلال نفسه بقوله: " *إعط هؤلاء لكى يعرفونك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته*"[41].

٨٢ ــ إذن فكل الأرض امتلأت بمعرفته، لأن معرفة الآب من خلال الابن ومعرفة الابن من خلال الآب هى معرفة واحدة. والآب يفرح بالابن وبهذا الفرح عينه يبتهج الابن بالآب قائلاً: "*كنت أنا موضع فرح، وكنت أفرح كل يوم قدامه*"[42]. وهذا يبرهن مرة أخرى أن الابن من ذات جوهر الآب وليس غريبًا عنه. فهو إذن لم يوجد من أجلنا كما يدّعى الكافرون، وهو ليس من العدم لأن الله لم يتخذ لنفسه موضوعًا للفرح من خارجه، بل من الواضح أن هذه الكلمات هى عن ذاك الذى هو خاص به ومماثل له. فمتى إذن لم يكن الآب يفرح؟ لأنه إن كان يفرح دائمًا فلابد أن ذلك الذى كان يفرح به كان كائنًا دائمًا. فبماذا يفرح الآب إلا بأن يرى نفسه فى صورته التى هى كلمته؟ وحتى إن كان يبتهج ببنى البشر عندما أكمّل خلق المسكونة كما كتب فى الأمثال[43] نفسها، ولكن هذا أيضًا له معنى مناسب، لأنه ابتهج ليس لأن الفرح أضيف إليه، بل أيضًا لأنه رأى الأعمال صائرة حسب صورته، ولهذا يكون فرح الله هو بسبب صورته. وأيضًا كيف يبتهج الابن إلا وهو يرى نفسه فى الآب؟ فهذا مماثل لقوله: " من

---

[41] انظر يو١٧: ٣. راجع أيضًا فصل ٣ من كتاب "تجسد الكلمة"، المرجع السابق، وأيضًا فصل ٤/٢ حيث يشير القديس أثناسيوس إلى الفرق بين الإعلان الإلهي عن طريق الخليقة كظل للإعلان الإلهى الحقيقي في شخص يسوع المسيح عندما اتخذ جسدًا.

[42] أم٨: ٣٠ سبعينية

[43] أم٨: ٣١

رآني فقد رأى الآب"[٤٤]، "*أنا في الآب والآب فيّ*"[٤٥]

إذن ياأعداء المسيح، لقد ظهر أن مجادلتكم باطلة من جميع النواحي، وعبثًا عرضتم في تباهٍ أراء غير مستقيمة وأذعتموها في كل مكان عن القول " *الرب خلقني أول طرقه*" وأسأتم فهم معناه، وبدلاً من التمسك بفكر سليمان أعلنتم بدعتكم. وها هو رأيكم يتضح أنه خيال فقط، أما قول سفر الأمثال وكما سبق أن أشرنا إليه من أقوال، فهو يبرهن أن الابن ليس مخلوقًا بحسب الطبيعة والجوهر، بل هو مولود الآب الذاتي وهو حكمته **وكلمته** الحقيقي، و" *كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان*"[٤٦].

---

[٤٤] يو١٤: ٦

[٤٥] يو١٤: ١٠ .

[٤٦] يو١: ٣

فهرس الكلمات والأفعال

(ن)

(و)

(ي)

شواهد الآيات الكتابية: أولاً : العهد القديم

ثانيًا : العهد الجديد

فى المسيح كَمُل الجنس البشرى وأُعيد تأسيسه كما كان فى البدء، بل بالأحرى بنعمة أعظم من الأول. لأننا بعد القيامة من بين الأموات لن نخاف الموت بعد، بل سنملك فى السموات مع المسيح على الدوام. وهذا لأن كلمة الله الذاتى عينه، الذى من الآب، قد لبس الجسد وصار إنساناً. لأنه لو كان مخلوقاً ثم صار إنساناً فإن الإنسان يبقى كما كان دون أن يتحد بالله. لأنه كيف يمكن لمخلوق أن يتحد بالخالق بواسطة مخلوق؟ لأن أى معونة يمكن أن يحصل عليها متماثلون من مماثليهم ما داموا هم أيضاً محتاجين إلى نفس المعونة؟ وإن كان الكلمة مخلوقاً فكيف يمكن أن يَبطُل حكم الله ويصفح عن الخطيئة وهو أمر كتب عنه الأنبياء أنه خاص بالله؟ لأن " من هو إله مثلك غافراً للإثم ومتغاض عن الخطايا" (ميخا٧:١٨). فإن الله قال: " إنك تراب وإلى التراب تعود" (تك٣:١٩)، والبشر قد صاروا مائتين. إذن فكيف يكون فى إمكان المخلوقين أن يبطلوا الخطية؟ فإن الرب نفسه هو الذى أبطلها كما قال هو نفسه: " إن لم يحرركم الابن"(يو٨:٣٦)، وأوضح حقاً أن الابن الذى حرر ليس مخلوقاً وليس من بين المخلوقات، بل هو الكلمة الذاتى وصورة جوهر الآب، وهو الذى " أصد الحكم"، فى البداية، وهو الذى صفح عن الخطايا. وإذ قيل بواسطة الكلمة " أنت من التراب وإلى التراب تعود" هكذا أيضاً قد تحققت الحرية بالكلمة نفسه وفيه وبه قد صار إبطال الدينونة

(المقالة الثانية فقرة ٦٧)



يُطلب هذا الكتاب من :

+ المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية ت : ٢٤١٤٠٢٣

+ بيت التكريس ت : ٤٨٣٦٣٨٩ - ٦٧٤٥٢١٩

+ ومن المكتبات والكنائس بالقاهرة والأقاليم

سعر النسخة ٤،٥: جنيه